موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

(٣)

إجابة الدعوة

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

www.mtenback.com

دار رواح للنشر والتوزيع

ⓒ مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/مرزوق بن صنيتان بن تنباك ... [أخ]. الرياض.

٥٢ ج؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٩-١٨٨-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٣)

١- الأدب العربي – موسوعات أ- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان (م . مشارك)

ديوي ٨١٠,٣ ٢١/٢٠٧٨

رقم الإيداع : ٢١/٢٠٧٨

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٩-١٨٨-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٣)

موقع الكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
توطئة	٥
الدعاء والإجابة لغةً	٧
إجابة الدعوة اصطلاحًا	٨
الدعوة إلى الطعام	٩
آداب الولائم	١٥
شروط تلبية الدعوة	١٨
آداب المائدة والمجالسة	٢٠
طرق الدعوة إلى الطعام والحفلات	٤٢
الدعوة إلى الخير ومكارم الأخلاق	٤٨
الفهارس	٦٩

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فَإِذَا رُزِقَتْ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ

فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ

حَافِظ إِبْرَاهِيم

www.mtenback.com

توطئة:

كان من كريم فضل الله على العرب، منذ أقدم العصور، أن اختصّ أمتهم بمحامد خلقية رفيعة ودوافع فطرية صافية، تكمل بها المقومات الإنسانية وتعلو بها الصفات البشرية، إذا ماقيست وفق مبادئ الشعوب الحضارية على اختلاف أجناسها وأصقاعها.

ولقد حفظ لنا التاريخ سجلاً حافلاً بأحداث وأخبار، نقل فيها غيضًا من فيض أخلاق العرب، فكان منها ماهو أشبه بحديث المعجزات، ومازالت مبعث فخرٍ ونبراس اقتداءٍ للعرب اليوم ولسائر أمم الأرض.

ومن هذه المكارم الخلقية إجابة الدعوة. ولهذه المكرمة تاريخ عميق مرتبط بطبيعة الحياة العربية ونسيج الفضائل العالية التي تمتع بها الإنسان العربي. وإجابة الدعوة التي سنتحدث عنها في هذا البحث متسعة ومتشعبة تأخذ بجوانب كثيرة من الحياة العامة والصلات الإنسانية الخالدة، حيث تتعدد الدعوات الخيرة إلى شؤون الحياة عامة ونفع الناس كافة فيكون المستجيبون لها والعاملون فيها خير مثال للعون الاجتماعي ويكون الداعون إلى كل محمدة أو فضيلة من أهل المروءة والسبق في المعروف وستكون إجابة الدعوة هنا بالمعنى الشامل العام وليس المعنى الخاص المحدد.

وقبل الكلام على مضمون هذه القيمة السلوكية الاجتماعية، يَحْسُن أن نقدّم تمهيدًا لغويًا مناسبًا.

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الدعاء والإجابة لغة:

الدعاء لغةً، مِن دَعَا، يَدْعُو: طلب ونادى[1]. وللدعاء معانٍ عدةٌ منها: الاستغاثة كقوله تعالى: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[2] أي استغيثوا بهم. وقد يكون الدعاء عبادة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[3]، أما في مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[4] فالدعاء معناه على وجوه منها توحيد الله والثناء عليه، وطلب المغفرة وطلب الحظّ من الدنيا كقولك: يا الله لا إله إلاّ أنت، وكقولك: ربنا لك الحمد. والضرب الثانى كقولك: اللهم اغفر لنا، والضرب الثالث: مسألة الحظ من الدنيا، اللهم ارزقنى مالاً وولدا. قال أبو إسحاق: تصلح الدعوى أن تكون فى معنى الدعاء أنشد سيبويه: «...قالت ودعواها كثير صَخَبُه» و«الدعاء» واحد الأدعية، وأصله «دعاو» لأنه من «دعوت»، إلاّ أن الواو لما جاءت بعد الألف همزت. ودعا الرجل أي ناداه، والاسم «الدعوة»، قال عنترة بن شداد:

يَدْعُونَ عَنْتَرَ والرِّمَاحُ كَأَنَّهَا أَشْطَانُ بِئْرٍ فِي لَبَانِ الأَدْهَمِ

وتداعى القوم: دعا بعضهم بعضًا حتى يجتمعوا، ودعاه الماء والكلأ: جذبه إليه. والدعوة والمدعاة: مادعوتَ إليه من طعام وشراب، وقال بعضهم: إن قوله تعالى:

---

[1] ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، بيروت، دار صادر، (د.ت)، مادة (دعو). وانظر في سواه من المعاجم العربية.

[2] سورة البقرة: ٢٣.

[3] سورة الأعراف: ١٩٤.

[4] سورة البقرة: ١٨٦.

www.mtenback.com

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾[٥] يعني أن دعاء الله خلقه إلى الجنة كما يدعو الرجل الناس إلى مأدبة وطعام.

وتداعى: أقبل، كما في الحديث «... كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده..»[٦].

الإجابة: من مادة ج، و، ب. جاب فلانٌ الشيء: قطعه وجاب الخبرُ البلاد: انتشر فيها. وأجابت الأرض تجيب إجابةً: أنبتت. وأجاب فلانٌ فلانًا: ردّ عليه وأفاده عمّا سأل. ويقال أجاب عن السؤال. وأجاب طلبه: قبله وقضى حاجته. وجاوبه مجاوبة وجوابًا: ردّ كلٌّ منهما على الآخر[٧].

إجابة الدعوة اصطلاحًا:

يقصد بالمعنى الاصطلاحي لإجابة الدعوة هنا قيام مَن دُعي إلى شيء من الدعوات التي قضت أعراف الناس بوجوب حضورها تأدبًا، بتلبية تلك الدعوة بغاية إظهار ردّ الاهتمام والإكرام بمثله. ومن الدعوات المقصودة هنا ما كان إلى الطعام والولائم والأعراس والمحاضرات والمهرجانات والحفلات، أو ما كان دعوة إلى المشاركة في عمل الخير أو في الجهاد أو لأداء مكرمة أو إصلاح ذات بين، وكالدعوة إلى إشاعة السلم والوئام بين الناس، وتخفيف آلامهم بإعانتهم ومواساتهم، وغير تلك من ضروب الدعوات وأنواعها.

---

[٥] سورة يونس: ٢٥.

[٦] رواه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الناس بالبهائم.

[٧] انظر: أنيس، د. إبراهيم، وزملاؤه: المعجم الوسيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، (د.ت) مادة (جوب).

www.mtenback.com

الدعوة إلى الطعام:

من الشيم التي اشتهر بها العرب إكرام الضيف واحترامه وتلبية حاجته إن كانت له حاجة، ومساعدة ابن السبيل، وإجارة المستجير وغير ذلك من الخصال الإنسانية التي تتصف بروح المحبة والتعاون والتفاعل الاجتماعي. وتقترن الضيافة أو الدعوة إلى الطعام بآدابٍ وسلوكٍ يتحلّى بها الضَّيْف والمُضيْف، وأصول لابدَّ من مراعاتها واحترامها.

وقبل البدء ببيان هذه الأصول والأعراف، سنعرض أنواع الولائم التي تتم الدعوة إليها.

أنواع الولائم:

أجمل قاضي القضاة، صدر الدين بن العز الحنفي[٨]، في أبيات شعرية طريفةٍ، اثني عشر نوعًا من الولائم[٩]:

أَسَامِي الطَّعَامِ اثْنَانِ مِنْ بَعْدِ عَشْـــرَةٍ ... سَأَسْـــرُدُهَا مَقْرُوْنَـــةً بِبَيَـــانِ

وَلِيْمَةُ عُـــرْسٍ ثُـــمَّ خُـــرْسُ وِلاَدَةٍ ... عَقِيْقَـــةُ مَوْلُـــوْدٍ، وَكَـــيْرَةُ بَـــانِ

وَضَيْمَـــةُ ذِيْ مَـــوْتٍ نَقِيْعَـــةُ قَـــادِمٍ ... عَذِيْـــرٌ أَوْ أَعْـــذَارٌ لِيَـــوْمِ خِتَـــانِ

وَمَأْدُبَـــةُ الخِـــلاَّنِ لاَ سَـــبَبٌ لَهَـــا ... حِذَاقُ صَبِـــيٍّ يَـــوْمَ خَتْـــمِ قُـــرآنِ

وَعَاشِرُهَا فِي النَّظْـــمِ تُحْفَـــةُ زَائِـــرٍ ... قِرَىْ الضَّيْفِ مَعْ نُـــزلٍ لَـــهُ بِأَمَـــانِ

---

[٨] سليمان بن الأذرعي صدر الدين شيخ الحنفية في زمانه وعالمهم من أهل أذرعات «اسمها اليوم درعـــا» جنوب دمشق. أقام في دمشق يدرس ويفتي و ولي القضاء، (قاضي القضاة) في القاهرة أيـــام الملـــك الظاهر بيبرس، وعاد إلى دمشق ودرس في الظاهرية وولي القضاء، ثم توفي بعد ثلاثة أشهر في دمشق في عام ٦٧٧هـ/١٢٧٨م.

[٩] شمس الدين محمد بن علي بن طولون الدمشقي الصالحي: فص الخواتم فيما قيل في الولائم، تحقيق: نزار أباظة، دمشق دار الفكر ط١، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص٣٩.

www.mtenback.com

فأولها وليمة العرس: وهي سنة لثبوتها عن النبي ﷺ قولاً وفعلاً. بل إن الشافعي يرى أنها واجبة. وهي تُعَدُّ نوعًا من الإعلان عن الزواج وهو مندوب إليه شرعاً وطبعاً. والتهنئة فيه تكون بالدعاء للزوجين بما هو مأثور: «بارك الله لكما وعليكما وجمع بينكما في خير».

وثانيها: وليمة الخرس، أو الخرص: وهي وليمة الولادة، والتهنئة فيها كانت كما قال الحسن: «بُورِكَ لك في الموهوب، وشكرت الواهب، وبلغ أشدَّه، ورُزِقْت بعده». أما اليوم فتختلف عبارات التهنئة إذ يُقال للوالدة مثلاً: «الحمد لله على قيامك بالسلامة»، ويقال للوالد: «مبارك ما جاءك، جعله الله من عباده الصالحين وأراه الله أيامًا أحلى من أيامنا».

وثالثها: وليمة العقيقة: ويستحب أن تكون في اليوم السابع من ولادة الطفل. والعقيقة هي الشاة التي تُذبح في ذلك اليوم وتلك المناسبة. والعقيقة كذلك الشَّعْر على رأس الصبي حين يُولد وكان يُحْلَق في اليوم السابع، لذلك سُمِّيت الوليمة في ذلك اليوم وليمة العقيقة. والسنة فيها أن توزّع أثلاثاً: فثلث يؤكل، وثلث يُهدى وثلث يُتصدَّق به.

ورابعها: وليمة الوكيرة: ويُدعى إليها لإحداث بناء السكن وكلمة الوكيرة مشتقة من «الوكر» وهو المأوى[١٠] وقد جرت العادة في الأرياف العربية أن يساعد الناس بعضهم بعضًا في بناء المساكن، إذ يهرع أبناء العشيرة أو القرية لمساعدة من يقوم ببناء مسكن مستخدمين الحجارة والطين والكلس لرشق الجدران بعد إنجاز البناء لإعطائها لونًا أبيض ناصعًاولتطهيرها بآنٍ واحد. وكان كل من أراد الزواج يقوم قبل ذلك ببناء مسكن له ولزوجته، إذا لم يكن لهما متسعٌ في بيت أهل الزوج. وبعد أن ينجز الناس العمل يدعو صاحب المسكن الناس من أهل قريته أو عشيرته أو حيِّه إلى

---

[١٠] شمس الدين بن طولون: «فص الخواتم فيما قيل في الولائم»، ص ٥٤.

www.mtenback.com

وليمة يكون في مقدمة المدعوين إليها الذين ساعدوه في بناء المسكن، بل يكون هؤلاء بمثابة المضيفين.

وخامسها: وليمة الوضيمة: هي إعداد الطعام و إرساله إلى أهل المتوفى فقد قال رسول الله ﷺ[11] عندما جاء خبر استشهاد جعفر: «اصنعوا لآل جعفر طعامًا فقد جاءهم ما يشغلهم»، وكانت عادة الناس في القرى والأرياف أن يوجّه أحد من حضروا جنازة الميت، بعد دفنه، وقبل انصراف الناس من المقبرة، دعوةً إلى أهل الفقيد وجميع الحاضرين، فيلبي أهل الفقيد الدعوة، وكذلك الغرباء من العشائر أو البلدان الأخرى، أما الباقون من أهل العشيرة أو البلد ذاتها فمنهم من يلبي ومنهم من لا يُلَبّي. ثم تتوالى الدعوات الموجهة لأهل الفقيد وعشيرته من قِبَل أبناء العشائر الأخرى في القرية لمدة ثلاثة أيام متوالية وفي الوقت نفسه يقوم كل من وجه دعوة بإرسال طعام خاص إلى بيت أهل الفقيد لإطعام النساء والأطفال. وفي بعض البلدان الأخرى يُرسل أحد أصحاب الفقيد أو أحد أقاربه طعامًا إلى أهل الميت، ومن كان موجودًا في وقت الطعام فإنه يتناوله معهم، وقد يضع لهم طعاما في اليوم الثاني. والثالث فقط: وهذا أقرب إلى السّنة؛ لحديث جعفر الآنف الذكر.

ومن منافع ذلك، أنه يؤلف بين قلوب الناس ويطهّرها مما علق بها من غضب أو سوءٍ سابق. ويسهم كذلك في تمهيد السبيل لحل النزاعات والخلافات بين الناس.

وسادسها: وليمة النقيعة: وهي وليمة يدعو إليها أهلُ مسافرٍ عاد من سفره بالسلامة[12]، ذلك لأن السفر كان شاقًا، إما مشيًا على الأقدام وإما ركوبًا على الدواب، ويتعرض المسافر في أثناء رحلته لمخاطر عديدة كالتعرض إلى اللصوص

---

[11] رواه الترمذي: كتاب الجنائز، باب ما جاء في الطعام يصنع لأهل الميت.

[12] شمس الدين بن طولون: «فص الخواتم» ص ٥٨، ٥٩.

www.mtenback.com

وقطاع الطرق والحيوانات المفترسة، أو الضياع في غياهب الصحراء، أو التعرض لأخطار ركوب البحر أو متاهات الدروب. ولهذا كانت إقامة الوليمة لدى عودته تعبيرًا عن الابتهاج بعودته سالمًا.

وكان المسافر يُحْضِر معه بعض الهدايا للأقربين، أمّا العائد من الحج فما زال يحضر معه الهدايا التقليدية مثل المسابح والتمر وماء زمزم وسجادات الصلاة والخواتم الفضية المنقوش عليها عبارات دينية أو رسوم للكعبة أو للحرم النبوي الشريف أو غير ذلك مما يشير إلى البلاد المقدسة. ولا يدعو أهل العائد من الحج، هذه الأيام، الناس، بل يذهب الناس لتهنئته فيُقدَّم لهم التمر «من مكة أو المدينة» وماء زمزم وهدية لكل مهنئ. كذلك لم يعد أحد يدعو الناس لدى عودة مسافر إلى أهله، إذ كثر السفر في هذه الأيام وغدا سهلاً ويسيرًا، ولايستغرق زمنًا طويلا.

وسابعها: وليمة العذير: وهي وليمة يُدعى إليها الناس عند ختان الذكر[١٣]. فقد جرت العادة في القُرى والأرياف أن يُزف المختون كما تُزف العروس. أما الآن فقد انقطعت هذه العادة و لم تَعُد تقام ولائم في مثل هذه المناسبة.

وثامنها: وليمة المأدبة: وهي الضيافة التى تعمل بلا سبب. فإن كانت عامة يطلق عليها اسم وليمة «الجَفَلَى» وإن كانت خاصة سُمِّيت وليمة «النَقَرَى»، قال طرفة:

نَحْنُ فِيْ المَشْتَاةِ نَدْعُو الجَفَلَى لاَ تَرَى الْآدِبَ فِيْنَا يَنْتَقِرْ

واصفًا قبيلته بغاية الكرم لأن زمن الشتاء وقت ضيق ومع ذلك فقومه يدعون الناس فيه دعوة عامة، ولا يدعون الناسَ دعوة خاصة.

---

[١٣] شمس الدين بن طولون: «فص الخواتم»، ص٦٠.

www.mtenback.com

وتقام مثل هذه الدعوات عادة بين وقت وآخر دون أي سبب ظاهر، تعزيزاً لروابط الأخوة والصداقة بين الناس. قال الإمام علي رضي الله عنه وكرَّم وجهه لأن أَجْمَع إخوانى على صاعٍ من طعام أحَبُّ إليّ من أن أعتق رقبة(١٤).

وتاسعها: وليمة الحذاقة: وهي وليمة تقام عندما يختم أحد القرآن الكريم. وأحياناً يُدعى الناس إلى الطعام عندما يختم المرء ثُمْنَ القرآن الكريم أو رُبْعَهُ أو نِصْفَهُ. ويقدم مثل هذا الطعام ويكون عادة حلواً، ولهذا تسمى «التحلية» ليس فقط عند ختم القرآن الكريم بل أيضاً عند إحراز نجاح في مراحل التعليم(١٥) ففي هذه الأيام تقام الولائم عندما يجتاز الطالب المرحلة الاعدادية والمرحلة الثانوية والمرحلة الجامعية الأولى بنجاح، وعندما تنبت أسنان الطفل(١٦) ومما يُقدَّم بمناسبة ظهور أسنان الطفل لأول مرة قمحٌ مسلوق يعرف بـ «السَّلِيْقَةِ» مع زبيب وراحة الحلقوم وغير ذلك من الحلوى.

وعاشرها: وليمة التحفة: وهي إطعام من يقوم بزيارتك(١٧)، ولا يُعد تقديم الطعام في هذه الحال وليمة لأنه لا توجه فيه دعوة، ولا يُدْعَى إليه أحدٌ غير الزائر، بل هو من باب إكرام الزائر والمبالغة في الترحيب به. أما إذا دُعِيَ آخرون لدى وصوله، فعندها تسمى وليمةً.

والحادي عشر: وليمة القِرى: وهي إطعام الضيف(١٨) والضيف إما أن يكون مدعواً إلى وليمة أو يحلُّ ضيفاً من بلد آخر أو حيٍّ آخر، أو قد يكون عابر سبيل. وفي الحالات كلها يوجِّه المُضِيْفُ دعوةً للناس كي يشاركوا الضيف المائدة تكريماً له.

---

(١٤) شمس الدين بن طولون: «فص الخواتم»، ص٦٣، ٦٤.

(١٥) شمس الدين بن طولون : «فص الخواتم» ص٦٥.

(١٦) شمس الدين بن طولون : فص الخواتم، ص٦٥

(١٧) شمس الدين بن طولون : «فص الخواتم» ص٦٧.

(١٨) شمس الدين بن طولون: فص الخواتم، ص١٤.

www.mtenback.com

وربما يقوم بعض المدعوين، بعد الانتهاء من الطعام، بدعوة الضيف إلى بيته لتناول طعام العشاء أو الغداء أو الإفطار في اليوم نفسه أو اليوم التالي ويُدْعَى معه جميع الحاضرين.

والثاني عشر: وليمة النزل: وهي إطعام من ينزل عندك لضرورة[١٩].

وهناك ولائم أربع لم يَرِد ذكرها في الأبيات الشعرية السابقة. وهي:

وليمة الأخوة:

وهي وليمة تقام للاحتفال بتآخي اثنين. وكان رسول الله ﷺ قد آخى بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، وقال له: أَوْلِم ولو بشاة[٢٠]. في هذه الأيام تقيم الدول، أو بلديات المدن حفلات يُقدَّم فيها الطعام ويُدْعَى إليها مسؤولون لدى إقامة ما أصبح يُعْرَف بتوأمة المدن أو «توأمة الجامعات» أو ماشابه ذلك.

وليمة الفرع:

وهي ذبح أول نتاج الناقة والتصدّق بلحمه نيئًا أو مطبوخًا وكان أهل الجاهلية يذبحونها لطواغيتهم، أو لطلب البركة في أموالهم. ولما جاء الإسلام منع الفرع إلا إذا كان لله تعالى[٢١].

وليمة العتيرة:

وهي ذبيحة يذبحها بعض الناس في العُشْر الأول من رجب. وكانت العرب تسميها «الرجبية»، والصحيح فيها ما ذهب إليه بعض المجتهدين من أنها مكروهة[٢٢]، إذ ليس لها أصل شرعي معتبر، فهي من البدع الحديثة.

---

(١٩) شمس الدين بن طولون : فص الخواتم، ص٩٠.

(٢٠) شمس الدين بن طولون : فص الخواتم، ص٩١.

(٢١) شمس الدين بن طولون: فص الخواتم، ص٩١.

(٢٢) شمس الدين بن طولون: فص الخواتم، ص ٩٣.

www.mtenback.com

وليمة النكاح:

ويقال لها وليمة «الملاك» ، وهي وليمة تقام بهدف الإعلان عن النكاح، وهي أشبه بوليمة العرس. وهي مستحبّة لقوله عليه الصلاة والسلام: «أعلنوا النكاح في المساجد واضربوا عليه بالدف»[٢٣].

وقد ورد في بعض المصادر أن من المناسبات التي تقام فيها الولائم ويُدْعَى الناس إلى الطعام، نبوغ شاعر في قبيلة، إذ كانت القبائل الأخرى تأتي لتهنئة القبيلة التي نبغ فيها شاعر فتصنع الأطعمة وتجتمع النساء ويلعبن وتقام الرقصات كما يحدث في الأعراس، ذلك لأن نبوغ شاعر في قبيلة يعني حماية لأعراضهم وذَبًّا عن أحسابهم وتخليدًا لمآثرهم وإشادة لذكرهم. ومن المناسبات التي تقام فيها الولائم ولادة فرس، إذ كانت العرب تحتفل بما تلد الفرس كما تحتفل بما تلد المرأة[٢٤]، ولكن الفرق هو أن العرب كانوا يحتفلون إن ولدت المرأة ذكرًا ولا يحتفلون إذا وضعت بنتًا، وكانوا يحتفلون إذا ولدت الفرس مُهرة ولا يحتفلون إنْ وضعت مُهْرًا. فلقد كان للخيل مكانة عالية عند العرب حتى إنه إذا تشارك اثنان في فرس، كانت تتوثق العلاقة بينهما كما تتوثق بين المتصاهرين.

آداب الولائم:

للولائم والطعام أعراف وتقاليد وقواعد وأصول لابد من مراعاتها، ويأتي في مقدمة هذه الآداب والسلوكيات:

تلبية الدعوة:

هناك من يرى أن إجابة الدعوة واجبة إذا كانت إلى وليمة عُرس ومستحبة في غيرها، بل قال بعضهم إنها واجبة في جميع الحالات. وجاء في الحديث الشريف: «إذا

---

[٢٣] شمس الدين بن طولون: فص الخواتم، ص ٩٥.

[٢٤] الألوسي زادة السيد محمود شكري أفندي: بلوغ الأرب في أحوال العرب، بغداد، مطبعة دار السلام، (١٣١٤هـ) ج٣، ص٩١.

www.mtenback.com

دُعِيَ أحدكم إلى وليمة فليأتها ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله». وفي عُرف عامة الناس أنه لا يليق الاعتذار عن الدعوة إلاّ لأسباب قاهرة ومقبولة لدى الداعي، لأن الدعوة تُعَدُّ تكريمًا للمدعو، وقبولها تكريمٌ وتقديرٌ واحترامٌ للداعي، أما رفضها فسلوكٌ قبيح يوحي بالعِداء أو الازدراء للداعي، أو يتضمن جهل المدعو بقيمة الدعوة، ومن ثَمَّ يفقد أهليته للتكريم والاحترام. ولهذا حثّ الرسول ﷺ على تلبية الدعوة إلى الطعام إذ فيها تطييب لنفس المسلم؛ وحق من حقوقه الشرعية، فورد في الحديث: «لو دُعِيْتُ إلى ذراع أوكراع لأجبت»، و وَرَدَ أيضًا في الحديث الشريف: «حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنازة، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس»[٢٥].

وفي حديث آخر عن النبي ﷺ أنه قال: «للمسلم على المسلم ستٌّ بالمعروف: يسلِّم عليه إذا لقيه ويجيبه إذا دعاه، ويشمِّته إذا عطس، ويعوده إذا مرض، ويتبع جنازته إذا مات، ويحب له ما يحب لنفسه»[٢٦].

يروى أنّ فتىً من بني هاشم كان يدخل على الخليفة أبي جعفر المنصور كثيرًا، ويسلِّم من بعيد وينصرف. فأتاه يومًا فأدناه، ثم دعاه إلى الغداء، فقال: قد تغديت. فأمهله الربيع حاجب المنصور حتى انصرف وصار وراء الستر فدفع في قفاه، فلما رأى من الحاجب دَفْعَه في قفاه شكا حالته وما ناله إلى عمومته. فأقبلوا في غدٍ إلى أبي جعفر المنصور وقالوا: إن الربيع نال من هذا الفتى كذا وكذا. فقال لهم أبو جعفر إن الربيع لا يقدم على مثل هذا إلا وفي يده حجة، فإن شئتم أمسكنا عن ذلك و أغضينا وإن

---

[٢٥] الإمام أبو العادات المبارك بن محمد، ابن الأثير الجزري: جامع الأصول في أحاديث الرسول تحقيق وتخريج وتعليق: عبد القادر الأرناؤوط، دمشق، مكتبة دار البيان ومطبعة الملاح، (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)، ج٦، ص٥٢٧، رقم الحديث (٢٧٣٣) أخرجه الترمذي ومسلم.

[٢٦] ابن الأثير: جامع الأصول، ج٦، ص٥٣٠، رقم الحديث ٤٧٣٥، أخرجه الترمذي.

www.mtenback.com

شئتم سألته وأسمعتكم، فقالوا: بل يسأله أمير المؤمنين ونسمع، فدعاه فسأله، فقال: إن هذا الفتى كان يأتي فيسلّم وينصرف من بعيد. فلما كان أمس أدناه أمير المؤمنين حتى سلّم مِنْ قُرْبٍ، وتبذّل بين يديه، ودعاه إلى غدائه، فبلغ من جهله بحق المرتبة التي أحلّه فيها أن قال: قد تغديتُ، وإذا هو ليس عنده لمن أكل مع أمير المؤمنين وشاركه في يده إلا سد خلة الجوع، ومثل هذا لا يقوّمه القول دون الفعل، فسكت القوم وانصرفوا[٢٧].

فالدلالة واضحة على أن دعوة المرء إلى طعام تعني تكريم الداعي للمدعو، وذلك واضح في قول الربيع: «فبلغ من جهله بحق المرتبة التي أحله فيها...» وأن رفض الدعوة معناه إهانة للداعي وحط من قدره، وسوء تقدير لدلالة الدعوة بدليل قول الربيع: (وإذا هو ليس عنده لمن أكل مع أمير المؤمنين وشاركه في يده إلا سدُّ خلة الجوع). ورفض الدعوة يُعدّ خطيئة تثير الغضب، وربما تولد العداوة وتستحق العقاب أو التقويم الصارم، بدليل قول الربيع: «ومثل هذا لا يقوّمه القول دون الفعل». وسكوت القوم دليلٌ أيضًا على أن الحجة التي أبداها الربيع مقبولة ومقنعة. ولهذا حَثَّ الرسول ﷺ في الحديث الشريف الذي أوردناه في المقدمة على تلبية الدعوة حتى ولو كان المرء صائمًا. «فإن كان صائمًا فليصل أي يدعو».

الدعوة إلى الطعام ذات أثر اجتماعي إيجابي يؤدي إلى تعزيز الروابط بين الناس وإشاعة الألفة والمحبة، والأمن والأمان، وذلك لأن من يأكل من زاد شخص لا يمكن أن يخونه أو يسيء إليه كما جرت العادة بذلك عند العرب. ومن أكبر الجرم عند العرب أن يخون المرء لقمة الطعام، ولهذا كان لتلبية الدعوة أهمية كبيرة لأن رفضها يحمل معاني عديدة منها الحطُّ من قدر الداعي، ويظن الداعي أنّ في نفس المدعوّ غشًّا له

---

[٢٧] أبو عمر أحمد بن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، بيروت، دار الكتاب العربي (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ج ٢. ص ٤٥٨.

www.mtenback.com

وريبة وإذا وجه امرؤٌ دعوة لعشيرته أو أهل قريته، أو حيِّه، و لم يوجه دعوة لزيد أو عبيد من الناس، حاك في صدر الذي لم تُوَجَّه إليه الدعوة وبقي في نفسه وَجْدٌ على الداعي، وولَّدَ شعورًا بالألم وعدم الرضا وربما وصل عند مَنْ يعتدّون بأنفسهم إلى درجة الشعور بالعداوة.

ولذا وجب أن يحرص الداعي على ألاّ ينسى أحدًا من دعوته، وإلا فليدْعُ على انفراد خاليًا دون إعلان وإشهار. كما يحرص المدعو على تلبية الدعوة لأن ذلك يعمِّق جذور الألفة والمحبة بين الناس.

شروط تلبية الدعوة:

لم تخلُ كتب الثقافة العربية من مباحث تناولت ماتعارف عليه العرب وأقرّوه من شروط معينة لتلبية الدعوة، سنورد فيما يلي أقرب هذه الشروط[٢٨]: ألا يخص الداعي الأغنياء. قال عليه السلام: «شر الطعام طعام الوليمة يُدعى لها الأغنياء ويُترك الفقراء»، أما إذا كان أهل الحي أو أهل الحرفة أو العشيرة الذين عُمِلَت لهم الوليمة أغنياء فإن علّة التخصص هنا تزول، وألاّ يخص الداعي المدعو بنفسه أو يبعث إليه بواسطة، وفي أيامنا هذه توجه رسائل دعوات بدلا من إرسال شخص، وخصوصا في المدن، أما فى القرى والأرياف فما زال الداعي يوجِّه الدعوة بنفسه أو بإرسال شخص يدعو باسمه لقرب المسافات وقلة عدد الناس. وألاّ تكون الدعوة ناجمة عن خوف من المدعو بسبب موقعه السلطوي أو طمعًا في جاهه أو سعيًا لمنفعة ونحو ذلك.

وألاّ يكون المدعوون ممن يتأذى المدعو بحضورهم أو ممن لا يليق به مجالستهم كأن يكون من بين المدعوين سَفَلَة ويُدْعَى معهم شخص ذو شرف، فإن من حق هذا الشخص ألا يلبِّي الدعوة.

---

[٢٨] شمس الدين بن طولون: فص الخواتم، ص٩٩ - ١٦٦.

www.mtenback.com

ومن شروطها الواجبة ألا يكون في الوليمة منكر، لما ورد في الحديث: «مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعُدَنَّ على مائدة يُدار عليها الخمر».

وأن تكون الدعوة في يوم واحد وألا تتكرر متتابعة، فقد روي عن رسول الله ﷺ قوله: «الدعوة أول يوم حق والثانى حسن والثالث رياء وسمعة».

وأن يكون طعام الداعي مباحًا وحلالاً، أما إذا كان فيه شبهة فتُكره الإجابة، وإذا حصل يقين بأن الطعام عينَه حرام أو صُنِعَ من مالٍ حرام حرمت الإجابة.

وعلى ألا يكون هناك عذر مشروع ومقبول. فإذا كان المدعو مريضًا، مثلاً أو قيِّمًا على مريض أو مشتغلاً في طلب حاجة أو معونة محتاج أو كان في حر شديد أو برد بريد لم تجب إجابة الدعوة.

وألا يكون الداعي ظالمًا أو فاسقًا أو شريرًا أو متكلِّفا طلبًا للمباهاة والفخر.

وأن يكون صاحب الدعوة مطلق التصرف، فإذا كان صاحب الوليمة محجورًا عليه لسفه، لا تجب تلبية دعوته. وألاّ يعارض الداعي غيره، فلو تلقى رجلٌ دعوتين كان عليه أن يجيب الداعي الأول لسبقه، وإن كانت الدعوتان معًا فإن كان أحدهما من أقاربه فيلبي دعوة ذى الرحم، وإن استويا في القُرب والبُعد أجاب الأتقى ذا الفضل ويجد لنفسه اعتذارًا لطيفًا للآخر.

و لايعتذر المدعو عن الحضور، فإن اعتذر ورضي الداعي بعذره وقَبِلَه زال وجوب تلبية الدعوة وارتفعت كراهة التخلّف عن الوليمة.

وأن يكون للمرأة إذا دعت الرجال محرم. فالأجنبي لا يجيب دعوة المرأة إذا دعته إلى وليمة ما لم يكن لها في البيت محرم .

وألاّ يكون المدعو قاضيًا أو أميرًا، أو حاكمًا أو مسؤولاً. إذ ينبغي أن يدفع هؤلاء أبواب الرِّيب من الهدايا والضيافات[٢٩]، فإذا ما دُعِيَ القاضي أو الأمير أو

---

[٢٩] شمس الدين بن طولون: فص الخواتم، انظر ص٩٩، ١٦٦.

www.mtenback.com

الحاكم إلى مائدة أحد من الناس، وكان في هذه الدعوة شبهة غير حسنة، فإن عليه ألاّ يلبي الدعوة. قال الإمام علي رضي الله عنه في رسالة إلى عثمان بن حنيف الأنصاري، وهو عامله على البصرة، وقد بلغه أنه دُعِي إلى وليمة قومٍ من أهلها فمضى إليها: «أما بعد، يابن حُنَيْف، قد بلغني أنّ رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة، فأسرعت إليها تُستطاب لك الألوان وتُنقل إليك الجفان، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قومٍ عائلهم مجفوٌ وغنيّهم مدعو (أي فقيرهم مُبْعَد، وغَنِيّهم مقرَّب) فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه، وما أيقنت بطيب وجوهه فَنَل منه»[٣٠].

إنّ خشية الإمام علي رضي الله عنه من أن تستخدم مثل هذه الدعوات لكسب العامل إلى جانب قومٍ دون آخرين، وما يقود ذلك إلى إخراج الحاكم عن سكة العدل من طريق مدخله الرشوة، فيكون عبئًا على الناس ومصدرًا لإشاعة الظلم؛ جعلت الإمام يوجه الرسالة إلى عامله يحذره فيها من قبول أية دعوة يشتبه عليه علمها، ويذكّره بوجوب أن يكون الأمير قدوة للناس في التقشُّف والترفُّع عن مباهج الدنيا، وتوجيه الرعاية والعناية للناس كافة وتأمين ما أمكن من حاجاتهم.

ما أبلغ هذه الرسالة التي تدلّ على حرص الولاة على العدالة وعلى احتفاظ المرء بكرامته وشرفه وعفته وعزته واحترامه لذاته، وكراهتهم للشبهات والمقاصد غير البريئة من الدعوات، وبغضهم للاستغلال.

آداب المائدة والمجالسة:

للطعام والدعوة إلى طعام آداب شرعية وعرفية وتقاليد ألفتها العرب والتزم بها الناس، فمن أخلّ بها فقد خالف أعراف الناس وآدابهم واستحق منهم الإنكار والمجافاة. ومن هذه الآداب: الأكل والشرب باليمين. قال رسول الله ﷺ: «إذا أكل

---

[٣٠] الشيخ محمد عبده: نهج البلاغة، دمشق، مطبعة كرم ومكتبتها، (د.ت)، ج٣، ص٧٠.

www.mtenback.com

أحدكم فليأكل بيمينه، ويشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله». ومنها البسملة عند البدء في الطعام والحمد لله عند الانتهاء منه. قال رسول الله ﷺ: «سمُّوا إذا أكلتم واحمدوا إذا فرغتم»، لأن في ذلك اعترافًا من المرء بفضل الله عليه وبنعمه التي أنعمها على الإنسان عمومًا، فإذا دعا المرء إلى مأدبته قومًا لم يستشعر فضلاً ولا منةً لأن ما يقدمه لضيوفه هو من فضل الله عز وجل، ولا يطمع المدعو ولا يخامره أي شعور بحسد أو شَرَه. لأن الداعي والمدعو كليهما يذكران الله في أول الطعام، إذ من عادة المضيف أن يقول للضيوف بعد أن يكون قد أعد المائدة: «تفضّلوا على ما قسم الله لنا ولكم من خيره وفضله». وذلك إقرار بأن هذا الرزق إنما هو من عند الله وما الضيف والمُضيف إلاّ مسخّران لإيصال هذه النعمة إلى مَنْ كُتِبَت له. وحمد الله وشكره بعد الانتهاء من الطعام يُعَد تأكيدًا على أن الخير كله مِنْ عند الله، الأمر الذي ينزع أية مشاعر خبيثة من النفس، فيسود الوئام والحب بين الناس.

ومن آداب الجلوس الى المائدة غسل اليدين قبل البدء بالطعام وبعد الفراغ منه. ويكون صاحب الدعوة قدوة للضيوف إذ يغسل يديه أولاً ومِنْ ثَمَّ يتقدّم الضيوف كي يغسلوا أيديهم. فيكون المرء نظيفًاطاهر اليدين بعيدًا عما يلوث طعامه أو ما ينكره جلساؤه من منظر غير نظيف ولا مقبول، وتلوث اليدين يحصل لعدم النظافة ويسبب المرض، فالنظافة تُعد بحد ذاتها ركنًا من أركان السلوك الحسن: «النظافة من الإيمان»، والوضوء الذي يقوم به المسلم عادة قبل الصلاة، يَنْصَح به خاتم الأنبياء قبل الطعام وبعده، إصراراً منه عليه الصلاة والسلام على ضرورة غسل اليدين قبل الطعام وبعده، ولأن الوضوء يُعَد في حد ذاته استعدادًا نفسيًا وروحيًا يزيل من النفس ما أشرنا إليه من كدر، فيقبل المرء على الطعام صافي النفس، ويقدِّم المضيف طعامه راضيًا مسروراً، وكأنهم جميعًا يقومون بشعيرة من شعائر الدين.

www.mtenback.com

ومن آداب الطعام ألاّ يكون المرء شَرِهًا، إذ كانت العرب، وما زالت، تزدري الشَّرَه ويُوصف صاحبه بصفات غير حميدة. وللشَّرِه علائم منها كبر اللُّقَم، وتتابعها بوتيرة متلاحقة، وتناول الطعام مِنْ أمام الآخرين أو من بين أيديهم. ومن الخصال المذمومة في الولائم التنفج[٣١] والتصرف غير اللائق كإسقاط الطعام في الصَّحْفة، أو طريقة وضع اللقمة في اليد، أو حتى طريقة غسل اليدين والتنخم، وغير ذلك مما يشير الاشمئزاز أو التقزز. قال فرقد: «إذا أكلتم فشدوا الإزار على أوساطكم، وصغّروا اللقم، وشدوا المضغ، ومصوا الماء، ولا يحلّ أحدكم إزاره فيتسع معاه، وليأكل كل واحد مما بين يديه»[٣٢].

ورُوِيَ أن أبا بكرة حضر سفرة معاوية ومعه ولده عبد الرحمن، فرآه يلقم لقمًا شديدًا. فلما كان بالعشي راح إليه أبو بكرة، فقال له معاوية: ما فعل ابنك اللَّقَّامة «العظيم اللقم» قال: اعتل، قال: مثله لا يُعْدَم العلة. وقال حميد الأرقط يصف أكل الضيوف الشرهين:

مَا بَيْنَ لُقْمَتِهِ الأُولَى إِذَا انْحَدَرَتْ ... وَبَيْنَ أُخْرَى تَلِيهَا قَيْدُ أُظْفُورِ

وقال أيضًا:

تُجَهِّزُ كَفَّاهُ وَيَحْدُرُ حَلْقُهُ ... إِلَى الزُّوْرِ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ الأَنَامِلُ

أَتَانَا وَمَا سَاوَاهُ سَحْبَانُ وَائِلٍ ... بَيَانًا وَعِلْمًا بِالَّذِي هُوَ قَائِلُ

فَمَا زَالَ عَنْهُ اللُّقْمُ حَتَّى كَأَنَّهُ ... مِنْ الْعِيِّ لَمَّا أَنْ تَكَلَّمَ بَاقِلُ

وقال في هجاء الضيف المتنفج والمتظاهر بالعظمة كلامًا منظومًا ساخرًا منه:

---

[٣١] التنفج: الاستعظام والرفعة.

[٣٢] ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، ج٦، ص٢٩٧ – ٢٩٨.

www.mtenback.com

لاَ أُبْغِضُ الضَّيْفَ مَابِي جُـلُّ مَأْكَلِـهِ ... إلاَّ تَنَفُّجُـهُ حَوْلِـي إِذَا قَعَـدَا

مَازَالَ يَنْفُـجُ جَنْبَيْـهِ وَحُبْوَتَـهُ[٣٣] ... حَتَّى أَقُوْلَ لَعَلَّ الضَّيْفَ قَـدْ وَلَـدَا

ومن الأمثال العربية التي قيلت في الشره والبطنة: «البطنة تذهب الفطنة». ووُصِفَ الأكول بأنه (بَرَمٌ قَرُوْنٌ)، أي يأكل مع الجماعة ولا يسهم بشيء، وإذا أكل تمرًا صار يأكل تمرتين تمرتين في حين يأكل أصحابه تمرة تمرة.

وقد نهى الرسول ﷺ عن القِران. قيل للحارث بن كلدة، طبيب العرب: ما أفضل الدواء؟ قال: الأزم، أي التقليل من الطعام، أو الحمية. وقال طبيب آخر من أطباء العرب: أفضل الدواء أن ترفع يدك عن الطعام وأنت تشتهيه. قيل للمنذر بن جندب: إن ابنك أكل طعامًا كَظَّهُ[٣٤] حتى كاد يقتله، قال: لو مات ما صليت عليه. ويروى أن عبد الملك بن مروان دعا رجلاً إلى الغداء فقال: ما في فضل يا أمير المؤمنين قال: لا خير في الرجل يأكل حتى لا يكون فيه فضل. وقال رجلٌ من أهل الشام لرجلٍ من أهل المدينة مداعبًا: عجبت منكم أنّ فقهاءكم أظرف من فقهائنا، ومجانينكم أظرف من مجانيننا. قال: أو تدري مِنْ أين ذلك؟ قال لا أدري، قال: من الجوع. ألا ترى أن العود إنما صفا صوته كلّما خلا جوفه؟ يريد أن عدم ملء البطن بالطعام ينقي النفس ويصفي الذهن.

وروى الجاحظ أنّ أبا عثمان الثوري كان يجلس ابنه معه يوم الرأس وهو يوم معروف يأكل فيه رأسا لا محالة ويقول له: إياك يا بني ونهم الصبيان، وأخلاق النوائح، ونهش الأعراب، وكُلْ مِمّا يلِيْكَ واعلم أنه إذا كان في الطعام لقمة كريمة أو مضغة شهية أو شيء مستطرف، فإنما ذلك للشيخ المعظّم أو للصبي المدلل، ولست بواحد منهما. وقد قالوا: مدمن اللحم كمدمن الخمر. أي بني، عوِّد نفسك الأَثَرةَ ومجاهدة

---

[٣٣] الحبوة: الاحتباء، وهو أن يجلس على إليتيه ويضم فخذيه وساقيه إلى بطنه بذراعيه ليستند.

[٣٤] كظه: ملأ بطنه حتى لم يعد يطيق التنفس.

www.mtenback.com

الهوى والشهوة، ولا تنهش نهش السباع، ولا تخضم خضم البراذين[٣٥]، ولا تدمن الأكل إدمان النعاج، ولا تلْقَم لَقْمَ الجمال، فإن الله جعلك إنسانًا، فلا تجعل نفسك بهيمة، واحذر صرعة الكظة وسرف البطنة، فقد قال بعض الحكماء: إذا كنت نهمًا فعدّ نفسك من الزمنى[٣٦] «المصابين بعاهة»، واعلم أن الشبع داعية البشم[٣٧] والبشم داعية السقم. ومن مات هذه الميتة فقد مات ميتة لئيمة لأنه قاتل نفسه، وقاتل نفسه ألأم من قاتل غيره، وإن السقم داعية الموت. أي بني! والله ما أدى حقّ الركوع والسجود ذوكظة، ولا خشع لله ذو بطنة، والصوم مصحة، والوجبات «الأكلة الواحدة في اليوم والليلة» عيش الصالحين. أي بني: لأمرٍ ما طالت أعمار أهل الهند، وصحّت أبدان العرب، ولله در الحارث بن كلدة إذ زعم أن الدواء هو الأزم، فالدواء كله في فضول الطعام، فكيف لا ترغب في شيء يجمع لك صحة البدن وذكاء الذهن وصلاح الدين والدنيا والقرب من عيش الملائكة؟

أي بني! لِمَ صار الضب أطول عمرا إلاّ لأنه يتبلغ بالنسيم. ولِمَ قال رسول الله ﷺ: إن الصوم وِجَاء «يقطع الشهوة» إلاّ لأنه جعله حاجزًا دون الشهوات! فافهم تأديب الله عز وجل وتأديب رسوله ﷺ.

أي بني! قد بلغتُ تسعين عامًا ما نقص لي سِن، ولا انتشر لي عصب، ولا عرقت أنف[٣٨]، ولا سيلان عين، ولا سلس بول، ما لذلك علّة إلا التخفيف من الزاد. فإن كنت تحب الحياة فهذه سبيل الحياة، وإن كنت تحب الموت فلا أبعد الله غيرك[٣٩].

---

[٣٥] الخضم: الأكل بأقصى الأضراس، والبرذون: التركي من الخيل.

[٣٦] الزمنى: المصابين بعاهة.

[٣٧] البشم: التخمة.

[٣٨] عرقت أنف: سيلان مخاطه.

[٣٩] ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، ج٦، ص٣٠٢ - ٣٠٩.

www.mtenback.com

وروي أنّ أبا الأسود الدُؤلي رأى رجلاً يلقم لَقْمًا منكرًا، فقال: ما اسمك قال: لقمان. قال: صدق الذي سمّاك.

وقيل إنّ أعرابيًا رأى رجلاً سمينًا فقال له: أرى عليك قطيفة مِنْ نسج أضراسك.

ومن الأمثال التي قِيلَت في الشره: «وَحْمَى وَلاَ حَبَل»: بمعنى أنه لا يذكر لـــه شيء إلا اشتهاه كشهوة الوحمى - المرأة في أول الحمل -. ومنها قولهـــم: «يبعـــثُ الكلاب من مرابضها»، أي يطردها منها طمعًا في أن يجد شيئًا يأكله من تحتها. وقيـــل كذلك: «أراد أن يأكل بيدين»[٤٠].

لقد جمع أبو عثمان الثوري في وصيته لولده الخصال الذميمة للشره، وبيّـــن في الوقت ذاته أصول الضيافة وقواعد آداب المائدة، فذكر من ذلك:

أن يأكل الضيف مما يليه، وأن يصغّر لقمته، وأن يمضغ مضغًا جيدًا، وألاّ يمـــلأ بطنه من الطعام لأن ذا الكظة يخسر دينه ودنياه، ولأن الاعتـــدال في الطعـــام يطيـــل العمر[٤١] ويحسن صحة البدن، ويشعل ذكاء الذهن.

ولو تأملنا ما تعرّض له الحكماء من وصف لآداب الطعام والسلوك على المائدة، لوجدناها نصائح طبية ثمينة، إذا ما اتبعها المرء تحاشى كثيرًا من المتاعب الصحيـــــة، وعاش حياته هانئًا سليمًا.

ومن الآداب والقواعد التي ينبغي للضيف أن يتّبعها، تقدير ظروف أهل المـــنزل واحترام تقاليد أهله، وصون حرمتهم. فلا يختار هو، المكان الذي يجلس فيه، بل يجلـــس حيث يوجهه صاحب المنزل، ولا يطلب من صاحب الدعوة أن يدعو أحدًا لم يدعُـــه ومن ذلك ألاّ يطلب حضور زوجة صاحب البيت، لأن في ذلك الطلب انتهاكًا لحرمة البيت و أهله وتحقيرًا للزوج واستصغارًا له، ولو كان بين الرجلين صداقة قديمة ومودة،

---

[٤٠] ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، ج ٣، ص ١١٦.

[٤١] لأنه سبب من الأسباب التي قدرها الله لإطالة العمر.

www.mtenback.com

وكثيرًا ما يستدعي مثل هذا السلوك نفورًا بين الصديقين أو ربما يؤدي إلى طرد الضيف من المنزل!

قال بكر بن عبيد الله: «أحقّ الناس بلطمة مَنْ أتى طعامًا لم يُدع إليه، وأحق الناس بلطمتين مَنْ يقول له صاحب البيت: اجلس هاهنا وأحق الناس بثلاث لطمات مَنْ دُعي إلى طعامٍ فقال لصاحب المنزل: ادع ربة البيت تأكل[٤٢].

وقد يستنكر الشَّرَه والتَّطفل وسوء السلوك حتى عند غسل اليدين قبل الطعام وبعده، وغسل الفم بعد الطعام. فالتطفل مكروه عند العرب مثلما هو رفض الدعوة، إلا لأسباب قاهرة ومقبولة.

أمّا غَسْلُ اليدين قبل الطعام عند بعض العرب البدو هذه الأيام فيتم على النحو التالي: يأتي المضيف أو أحد رجاله بطست عميق وإبريق ماء، فيمر على الضيوف وهم جالسون في أماكنهم، فيمد الضيف يده اليمنى ويغسل ثلاثة أصابع فقط هي السبابة وما يليها والإبهام لأنه لا يأكل إلاّ بهذه الأصابع، وسبب اتباع هذه الطريقة قلة الماء عند البدو. إنها لا تُنَظِّفُ الأصابع جيدًا ولكنها تقليد وإيحاء نفسي بأنّ غسل اليدين قد تمّ، ولهذا فقد ورد عن الرسول ﷺ أنه أوصى بالوضوء ليكون غسل اليدين بصورة أكمل وأنظف وأطهر.

إن آداب الجلوس وتقاليده إلى المائدة لا تقتصر على الضيف وحده، بل إن هناك ما يترتب على المضيف أيضًا، مِن ذلك الترحيب الحار بالضيوف، والبشاشة في وجوههم. ومن هنا جاء المثل الشعبي: «لاقيني ولا تغديني»، بمعنى استقبالك لي ببشاشة وترحيب خيرٌ مِنْ أنْ تقدّم لي الطعام بوجهٍ عبوس واستقبال بارد. ومن عادات بعض العرب أن يكثر المضيف الترحيب بالضيوف بعبارات جزلة، ويظل واقفًا طيلة الوقت، ولا يجلس مع الضيوف إلى المائدة بل يظل قائمًا على خدمتهم و ملاحظة حاجاتهم من

---

[٤٢] ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، ج ٢ – ص ٤٥٨.

www.mtenback.com

صب السمن على مناسف اللحم، وتقديم الماء والخبز وغير ذلك، وبرغم أن المضيف لا يشارك الضيوف مائدتهم إكرامًا لهم، فإنه يتناول بضع لُقَم من كل منسف يوضع أمام الضيوف قبل أن يدعوهم إلى التقدم إلى المائدة، وذلك تأكيدًا بأن الطعام نظيف وليس فيه ما يدخل الشك في نفس أحدٍ من الضيوف، فيطمئن الجميع ويتقدمون إلى الموائد.

وفي أحيان أخرى يجلس المضيف مع الضيوف، بل ينبغي عليه أن يفعل ذلك ويشاركهم أيديهم في الطعام. ومن التقاليد العربية المرعية أن يظل المضيف جالسًا إلى المائدة حتى ينصرف عنها آخر ضيف.

ومن عادات قبائل العرب أنه إذا دُعِيَ شيخ قبيلة أو وجيهٌ فيها إلى وليمة، وكان معه بعض رجال قبيلته، فإنهم لا يتقدمون إلى الموائد حتى ينهض هو ويتقدمهم أولاً. وإذا ما بدؤوا الطعام لا يكادون يملؤون ربع بطونهم حتى ينقر كبيرهم هذا على طرف المنسف وينهض عن الطعام فينهض معه الجميع. ولهذا السلوك دلالات عديدة منها:

الالتزام بالنظام القائم فيما بين أفراد القبيلة من طاعة أميرهم والاقتداء به. الالتزام بعدم الجشع والابتعاد عن شبهة الشَّرَه، فضلاً عن أن الضيوف يدركون أنه قد يكون ثمة فوج آخر من الضيوف سيكون لهم نصيب من هذا الطعام، فيوفرون لهم ذلك، ومن فوائد هذا الإقلال من الطعام أثناء الولائم الحفاظ على الصحة وتلافي الإصابة بالبدانة أو البطنة.

ولدى دخول الضيف إلى المضافة[٤٣] ينهض الحاضرون لاستقباله فيحسن أن يجلس حيث ينتهي به المجلس ولعله الأقرب إلى مكان دخوله، ولكن المضيف يشير إليه إلى مكانٍ معيَّن، فيجلس فيه، ويكون ذلك المكان اللائق لمقام الضيف، فالمجالس في

---

[٤٣] المضافة: هو المكان الذي ينزل به الضيوف عادة، ويُسمّى عند بعض الفلاحين العرب منزولا، أي حيث ينزل الضيوف.

www.mtenback.com

المضافات ذات مقامات يعرفها الناس. لذلك نصح بعض أمراء العرب قومه قائلاً: إذا ما دخلتَ مكانًا فاجلس في المكان الذي أدنى مما تستحق لأن المضيف سوف يأتي ويُجْلِسُكَ في مكانك، خصوصًا إذا دخل مَنْ هو أدنى منك مكانة اجتماعية، أما إذا جلست في مكان أعلى مما تستحق، فإنك سوف تضطر إلى النزول إلى مكانٍ أدنى إذا ما دخل مَنْ هو أعلى منك مقامًا في المجتمع. ولهذا فليحترم المرء نفسه في أن يجعل الناس يرفعونه ولا يضعونه.

رُوِي أن بلال بن أبي بردة، وهو أمير على البصرة، قال للجارود بن سبرة الهذلي: أتحضر طعام هذا الشيخ؟ ويعني به عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر. قال: نعم: قال: فصفه لي. قال: نأتيه فنجده منبطحًا[٤٤]، فنجلس حتى يستيقظ، فيأذن فنساقطه الحديث، فإن حدَّثناه أحسن الاستماع، وإن حَدَّثَنا أحسن الحديث، ثم يدعو بمائدة وقد تقدم إلى جواريه وأمهات أولاده ألاّ تلاطفه واحدة منهن إلا إذا وضعت مائدة، ثم يقبل خبازه فيمثل بين يديه قائمًا فيقول له: ما عندك؟ فيقول: عندي كذا وكذا، فيُعِد ما عنده، ويريد بذلك أن يحبس كل رجل نفسه وشهوته على ما يريد من الطعام، و تقبل الألوان من هاهنا ومن هاهنا، فتوضع على المائدة، ثم يؤتى بثريدة شهباء من الفلفل، رقطاء من الحمص، ذات جفانين[٤٥] من العُرَاق[٤٦] فيأكل معذرا[٤٧] «حتى إذا ظن القوم قد كادوا يملؤون، جثا على ركبتيه ثم استأنف الأكل معهم». قال ابن أبي بردة: لله در عبد الأعلى ما أربط جأشه على وقع الأضراس.

---

[٤٤] منبطحًا: أي نائمًا.

[٤٥] جفانين: جناحين.

[٤٦] العُرَاق: العظم بلحمه.

[٤٧] يبدأ الطعام مع الضيوف بطريقة يوهمهم فيها بأنه يملأ بطنه، كي يقدر على الاستمرار في الأكل حتى ينفض الجميع عن المائدة.

www.mtenback.com

فالمضيف يؤاكل الضيوف حتى إذا قاربوا ملء بطونهم، نشط في الأكل، وكأنه قد بدأ لتوّه، وذلك من أجل ألاّ يوحشهم، وحتى يشجعهم على الأكل وعدم الخجل. لأن نهوض المضيف عن المائدة قبل الضيوف يعني أنه يريد منهم أن ينهضوا هم أيضًا عن المائدة، وفي ذلك عيب كبير وعار لا يحتمله أحد من العرب.

ومن الآداب التي ينبغي على المضيف مراعاتها، ألاّ يشعر الضيوف بأنه ينظر إليهم وهم يأكلون. رُوِيَ أن أعرابيًا حضر سفرة هشام بن عبد الملك، فبينما هو يأكل معه إذ تعلقت شعرة في لقمة الأعرابي. فقال هشام: عندك شعرة في لقمتك يا أعرابي، فقال الأعرابي: وإنك لتلاحظني ملاحظة من يرى الشعرة في لقمتي، والله لا أكلت عندك أبدًا. ثم خرج وهو يقول:

وَلَلمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ زِيَارَةِ بَاخِلٍ يُلاَحِظُ أَطْرَافَ الأَكِيْلِ عَلَى عَمْدِ

لقد جعل شعور الضيف بأنه مراقب في حركة يده وهو يأكل، يحس بالإهانة وبأنه غير مرغوب في حضوره على المائدة، أو ربما جعله يعتقد أن المضيف بخيل بدلالة قوله: «... من زيارة باخل...» رغم أن المضيف هنا هو هشام بن عبد الملك، وهو أمير معروف، ومن ذوي الجاه والصيت الحسن. ومع ذلك لم يعفه ذلك الصيت والجاه من ظن الضيف فيه لمجرد الإحساس بأنه راقبه وهو يأكل.

ومن آداب الضيافة التي ينبغي أن يَتمتعَ بها المضيف عدم إشعاره بأن أحدًا من الحضور تأفّف منه لأي سببٍ. يُرْوَى أن قائدًا لأبي جعفر المنصور أكل معه يومًا على مائدة وكان معه ولدا أبي جعفر، محمد المهدي وصالح. فبينما الرجل يأكل من ثريدة بين أيديهم إذ سقط بعض الطعام مِنْ فِيْهِ في الغضّارة «الصحفة»، وكأن المهدي وأخاه عافا الأكل معه، فأخذ أبو جعفر الطعام الذي سقط من فم الرجل فأكله. فالتفت إليه الرجل فقال: يا أمير المؤمنين والله لأتركن في رضاك الدنيا[٤٨]، لقد آلى أبوجعفر

[٤٨] ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، انظر: ج٢، ص ٤٥٦ - ٤٥٧.

www.mtenback.com

المنصور على نفسه ألاّ يشعر الضيف بحرج مما يكون قد بدا على وجهي ولديه من تأفف واشمئزاز، فتناول ما سقط من فمه وأكله رغم ما في ذلك من صعوبة على النفس من أجل أن يلقّن وَلَدَيْهِ درسًا في ضرورة احترام الضيف وتكريمه، وأراد أن يعرف ضيفه أن أمير المؤمنين نفسه ليس بأفضل من ضيفه، الأمر الذى جعل الضيف يقول ما قال من كلام يدل على عظم الامتنان والتقدير لهذا الموقف الكريم.

ومن آداب الضيافة أن المضيف لا يسأل الضيف إذا دخل بيته عن شيء ولا حتى عن اسمه، إلا بعد ثلاثة أيام. وفي الأيام الثلاثة يبذل جهده في إكرام الضيف وتسليته، كأن يؤتى بشاعرٍ يقول الشعر ويغنيه على الرباب بحضور وجوه القبيلة ورجالها، وبعد انقضاء هذه المدة يتوجه المضيف بسؤال الضيف إن كانت له حاجة، فيفصح الضيف عن غايته، ويسعى المضيف لتحقيقها.

ومن آداب الضيافة في زمن اليسر أن تذبح ذبيحة لكل ضيف. أي إذا دخل ضيف ذبحت له ذبيحته، وإذا ما جاء بعد ذلك ضيف آخر، لايجوز أن يقدم لهما معا ذبيحة الضيف الأول، بل لابد من ذبح آخر يقدم للضيف الآخر، وربما تقدمان في وقت واحد ولكن يحاط الضيفان علمًا بأن لكل منهما ذبيحته. وذلك إمعانًا في إكرام الضيف وتقديره، بشرط ألا يزيد من اللحم ما يرمى به فيكون ذلك إسرافًا وطغيانًا.

ومن آداب المجالسة عامّةً ماجاء في وصية لقمان لابنه، إذ قال: يابني إذا أتيت مجلس قوم فارمهم بسهم الإسلام ثم اجلس. فإن أفاضوا في ذكر الله فاجعل سهمك مع سهامهم، وإن أفاضوا في غيره فخلّهم وانهض[٤٩].

قال ابن عباس: لجليسي علي ثلاثٌ: أن أرمَيه بطرفي إذا أقبل، وأوسعَ له إذا جلس، وأصغي إليه إذا حدّثَ.

---

[٤٩] أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: الكامل، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، (د.ت) ج١، ص١٧٥-١٨٠.

www.mtenback.com

وكان من خيرة الجلساء القعقاع بن شور، أحد بني عمرو بن شيبان ، إذا جالسه جليسٌ فعرفه بالقصد إليه جعل له نصيبًا في ماله و أعانه على عدوه وشفع له في حاجته، وغدا إليه بعد المجالسة شاكرًا له حتى شُهِرَ بذلك وقيل فيه[٥٠]:

وَكُنْتُ جَلِيْسَ قَعْقَاعِ بنِ شَوْرٍ ... وَلا يَشْقَى بِقَعْقَاعٍ جَلِيْسُ

ضَحُوكُ السِّنِّ إنْ أَمَرُوا بِخَيْرٍ ... وَعِنْدَ السُّوءِ مِطْرَاقٌ عَبُوسُ

ومن تقاليد المجالس ما ورد في الحديث الشريف: «من قام من مجلسه ثم رجع فهو أحق به». وقال أيضًا: «إذا أتى أحدكم المجلس فليسلّم، وإذا قام فليسلّم، فليست الأولى بأحق من الأخرى». ومن حقوق المجالس وواجباتها ماورد في الحديث النبويّ يحث على أن يحفظ كل مَنْ جالس أحدًا سِرّهُ ولا يبوح بحديثه إلا بإذنه، قال ﷺ: «المجالس بالأمانة»، وإنما يتجالس الرجلان بأمانة الله عز وجل فإذا تفرقا فليستر كل منهما حديث صاحبه. وفي حديث شريف آخر: «المجالس بالأمانة إلا ثلاثة: مجلس سفك فيه دَمٌ حَرَامٌ، ومجلسٌ اَستُحِلَّ فيه فَرْجٌ حَرَامٌ، ومجلس استحل فيه مالٌ حرامٌ بغير حقٍّ».

ومن صفات المُجَالس الواجبة فيه ما يروى عن نبي الله عيسى عليه السلام أنه قال: «جالسوا من تُذَكِّرُكُمْ بالله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه، ويرغبكم فى الآخرة عمله».

وقال سعيد بن العاص: لجليسي عليَّ ثلاثُ خصالٍ: «إذا دنا رحبتُ به، وإذا جلس وسّعتُ له، وإذا حدّثَ أقبلتُ عليه»[٥١].

---

[٥٠] المبرد: الكامل، ج١، ص ١٥٧-١٨٠.

[٥١] الإمام عمر بن عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز النمري القرطبي: بهجة المجالس وأنس المجالس وشحن الذاهن والهاجس، تحقيق: الخولي والقط، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

www.mtenback.com

ومن آداب المجالسة كما ورد سابقًا عدم الخوض في آيات الله بغير علم وأشد منه الاستهزاء بها، فقد قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٥٣].

كما لا يجوز القعود في مجالس ترتكب فيها المحرمات أو يُغتاب الناس فيها، أو تُذكر فيها محاسن النساء أو الرفث من القول بهدف إثارة الشهوات الجنسية المحرَّمة شرعًا.

ومن الآداب التي ينبغي للضيف أن يراعيها عدم الاعتذار بشبع عن قبول الدعوة إلى الطعام، وألا يسأل صاحب المنزل عن شيء من داره سوى عن القِبلة وعن موضع قضاء الحاجة ، وألا يتطلع ناحية الحريم، وألا يخالف المضيف إذا أجلسه في مكان أكرمه به وألا يمتنع عن غسل يديه.

وقال بعضهم:

لاَ يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ أَنْ يَعْتَرِض إِنْ كَانَ ذَا حَزْمٍ وَطَبْعٍ لَطِيفِ

وعلى الضيف ألا يفرط في الطعام.

وهناك معايب أخرى كثيرة مشمولة بمعنى ألاّ يتدخل الضيف فيما لا يعنيه أو يخوض في حديث غير لائق.

---

[٥٢] سورة النساء: ١٤٠.

[٥٣] سورة الأنعام: ٦٨.

www.mtenback.com

ومن آداب المائدة ما ذكره الغزالي: تصغير اللقمة ومضغها جيدًا، وعدم النفخ في الطعام الحار، وعدم الجمع بين التمر والنوى في طبق واحد[٥٤].

وقال ابن الملقن وغيره: يستحب أن يدعو الضيف لصاحب الطعام بقوله: أكل طعامكم الأبرارُ وأفطر عندكم الصائمون وصلّت عليكم الملائكة.

وقال الغزالي: إن كان الطعام حلالاً، قال الضيف: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات، اللهم أطعمنا طيبًا واستعملنا صالحًا. وإن كان في الطعام شبهة قال: الحمد لله على كل حال، اللهمّ لا تجعله قوة لنا على معصيتك. وإنْ كان المأكول لبِّنا، قال: اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا فيه. وإن كان غيره، قال: اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيرًا منه[٥٥].

وذكر الغزالي في الإحياء أن مَنْ أراد أن يأمن ضرر الطعام فليقل: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات، اللهم اجعله عونًا على طاعتك. ولا تجعله عونًا على معصيتك.

ومن الأمور التي يستهجنها العرب فيما يتعلق بالدعوة إلى الطعام وآداب الموائد، التطفل، وهو أمر بعيد عن الضيافة. إذ يمكن أن يحل ضيف أو أكثر على رجل دون دعوة مسبقة فيُرَحَّب بهم ويكرمون. أما التطفل فهو أن يسعى المرء إلى الموائد ويتجسس ليعرف من عنده وليمة فيهرول إليها ليشارك فيها دون دعوة، رغم أن حضوره مزعجٌ للآخرين. و«الطفيلي» صفة منسوبة إلى رجل من الكوفة اسمه طفيل ابن دلال من بني عبدالله بن غطفان، كان يكثر الإتيان إلى الولائم بغير دعوة. وكانت العرب تسمّي من يسلك هذا السلوك «وارشا» أو «راشفا» ثم صار يسمى «طفيليا» نسبة إلى طفيل هذا. وكانت العرب تجيز التطفل على طعام السلطان ولكنها تكرهه

---

[٥٤] شمس الدين بن طولون: فص الخواتم، ص٧٠-٧٣.

[٥٥] شمس الدين بن طولون: فص الخواتم، ص ٧٧.

www.mtenback.com

على طعام رجل من عامة الناس لدرجة أن شهادة المتطفل كانت تُرَدّ ولا تُقبل. أمـــا الصديق فلا يدخل في عداد المتطفلين أو الطفيليين إنْ حضر مائدة صديقه دون دعوة[٥٦].

وتكره العرب السؤال لأنه يحط من قدر السائل ويذله، وقال أبـــو العتاهيـــة في ذلك الأبيات التالية[٥٧]:

لاَ تَسْـــأَلَنَّ المـــرْءَ ذَاتَ يَدَيْـــــهِ ... فَلَيَحْقِرَنَّـــكَ مَـــنْ رَغِبْـــتَ إِلَيْـــــهِ

الْمَرْءُ مَا لَـــمْ تَـــرْزَهُ لَـــكَ مُكْـــرِمٌ ... فَـــإِذَا رَزَأْتَ المَـــرْءَ هُنْـــتَ عَلَيْـــــهِ

وَكَمَا يَكُوْنُ لَدَيْـــكَ مَـــنْ عَاشَـــرْتَهُ ... فَكَذَاكَ فَارْضَ بِـــأَنْ تَكُـــوْنَ لَدَيْـــهِ

وعلى الرغم من أن العرب يكرهون التطفل، لأن دخول بيوت النـــاس يفســـد عليهم ما يريدونه من خلوة بندمائهم، فقد كانت تحدث أحيانًا وقائع تطفل مقصـــودة، ويقوم بها أناس مرموقون لهم سمعة طيبة وشهرة واسعة بهدف التفكه أحيانًا، وبســـبب الفضول أحيانًا أخرى . ومن ذلك ما حدث لإسحاق الموصلي الذي يُعد مِنْ أشـــهر ندماء الخلفاء، ومن الذين تفردوا بصناعة الغناء، كما كان عالمًا باللغـــة والموســـيقى والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكلام ورواية الشعر، وكان كذلك حافظًا للأخبار ، فقـــد رأى جارية حسناء تلبس ثيابًا فاخرة وتركب حمارًا، فظن أنها مغنية، فدخلـــت دارًا كان يقف بجانبها ليستريح بعد طواف طويل. فقرر أن يدخل الدار ليرى ماذا يجـــرى هناك، فاغتنم دخول شابين بعد أن أُذِنَ لهما بالدخول، وحشر نفسه معهما، فظنا أنـــه مدعو مثلهما، وظن أصحاب الدار أنه صاحبهما، ولكنهما أوضحا لصاحب المنزل أنه متطفل، فرحب به المضيف رغم عدم رضاه من وجوده لأن من عادة العرب الـــترحيب بمن يدخل بيوتهم وتكريمه وحمايته بغض النظر عمن يكون، وبغض النظر عن غايته.

---

[٥٦] شمس الدين محمد بن طولون: فص الخواتم، ص ٨٤.

[٥٧] شمس الدين محمد بن طولون: فص الخواتم، ص ٨٨-٨٩.

www.mtenback.com

ثم أخذت الجارية تعزف على العود وتغني أصواتًا من صنعة إسحاق الموصلي نفسه:

الطُّلُولُ الدَّوَارِسْ فَارَقَتْهَا الأَوَانِسْ

أَوْحَشَتْ بَعْدَ أَهْلِهَا فَهِيَ قَفْرٌ بَسَابِسْ

وغنت كذلك من صنعته:

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَابِسًا وَنَأَى عَنْكَ جَانِبًا

قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أَرَدْ تَ وَإِنْ كُنْتَ لاَعِبًا

فاستعاده إسحاق منها ليصححه لها فأقبل عليه رجل من الرجلين اللذين دخل معهما تطفلاً وقال: ما رأيت طفيليا أصفق وجهًا منك! لم ترض بالتطفل حتى اقترحت، وهذا غاية المثل: «طفيلي مقترح». فأطرق إسحاق ولم يجبه. وجعل صاحبه يكفه عن إسحاق فلا يكف. ثم قاموا إلى الصلاة وتأخر إسحاق عنهم وأخذ عود الجارية فأصلحه إصلاحا محكما، وعاد إلى موضعه فصلى.

وبعد الصلاة عاد الرجل إلى تعنيفه و إسحق صامت لا ينبس ببنت شفة. ثم أخذت الجارية العود فجسته وأنكرت حاله وقالت: مَنْ مَسَّ عودي؟ قالوا: ما مسه أحد. قالت: بلى، لقد مسه حاذق متقدم وأصلحه إصلاح متمكن من صناعته، فقال لها إسحق: أنا أصلحته. قالت: فبالله خذه واضرب به. فأخذه وضرب به فبد ظريفًا عجيبًا صعبًا فيه نقرات متحركة فما بقي أحد منهم إلا وثب على قدميه وجلس بين يدي إسحق.

ثم قالوا: بالله يا سيدى، أتغني؟ قال: نعم وعرّفهم على نفسه. ثم أقسم ألا يغني حتى يخرج ذاك الذي أهانه فخرج. ولما سمعه صاحب المنزل أعجب بغنائه أيما إعجاب وطلب منه أن يمكث في بيته شهرًا ويعطيه بعد ذلك الجارية والحمار الذى كانت تركبه

www.mtenback.com

وما عليها من حلي مكافأة له. فقبل الموصلي رغم أن الخليفة كان يبحث عنه في كل مكان ولا يدري له مقامًا ولا يعرف له خبرًا، وأخيرًا عاد إسحق الموصلي إلى الخليفة ومعه الجارية والحمار، وما إن حكى للخليفة حتى هدأ غضبه وأرسل يستدعي صاحب المنزل، ولدى مثوله بين يدي الخليفة قال له: أنت رجل ذو مروءة، وسبيلك أن تُعَاوَنَ عليها، وأمر له بمئة ألف درهم وأمر لإسحق بخمسين ألف درهم، وقال: أحضر الجارية، فأُحْضِرَتْ وغنَّتْ بين يدي الخليفة، فجعل لها نوبة في كل يوم ثلاثاء تغني وراء الستر مع الجواري، وأمر لها بخمسين ألف درهم. فربح المتطفل وأربح غيره[٥٨].

قيل لأحد الكرماء: كيف اكتسبت مكارم الأخلاق والتأدب مع الأضياف؟ فقال: كانت الأسفار تحوجني إلى أن أفد على الناس، فما أستحسنه من أخلاقهم أتَّبِعُه وما أستقبحه أجتنبه.

ومن الأخلاق المستحسنة التي يتمتع بها المضيف أن يحترم أضيافه ويظهر لهم الغنى وبسط الوجه. وقد ضمن الشيخ شمس الدين البديوي هذا الكلام بأبيات من الشعر فقال:

إِذَا الْمَرْءُ وَافَى مَنْزِلاً مِنْكَ قَاصِدًا ... قِرَاكَ وَأَرْمَتْهُ إِلَيْكَ المَسَالِكُ

فَكُنْ بَاسِمًا فِي وَجْهِهِ مُتَهَلِّلاً ... وَقُلْ مَرْحَبًا أَهْلاً وَيَوْمٌ مُبَارَكُ

وَقَدِّمْ لَهُ ما تَسْتَطِيعُ مِنَ القِرَى ... عَجُولاً وَلاَ تَبْخَلْ بِمَا هُوَ هَالِكُ

فَقَدْ قِيلَ بَيْتٌ سَالِفٌ مُتَقَدِّمٌ ... تَدَاوَلَهُ زَيْدٌ وَعَمْرٌ وَمَالِكُ

بَشَاشَةُ وَجْهِ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنَ القِرَى ... فَكَيْفَ بِمَنْ يَأْتِي بِهِ وَهْوَ ضَاحِكُ

---

[٥٨] محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي: قصص العرب، قم إيران، منشورات الرضا، ط١، (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، ج٤، ص٨٤-٨٧.

www.mtenback.com

ومن هذه الأخلاق أيضًا الاعتناء بدابة الضيف قبل إكرام الضيف.قال الشاعر:

مَطِيَّةُ الضَّيْفِ عِنْدِي تِلْـــوَ صَاحِبِهَـــا لَنْ يَأْمَنَ الضَّيْفُ حَتَّى تُكْرِمَ الْفَرَسَـــا

وذلك من باب طمأنة الضيف ومنحه الراحة النفسية. قـــال علي بن الحســـين رضي الله عنهما: من تمام المروءة خدمةُ الرجل ضيفَه كما خدمهـــم أبونـــا إبراهيـــم صلوات الله عليه وسلامه بنفسه وأهله. أمَا سمعت قول الله تعالى في كتابـــه العزيـــز: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾[٥٩].

كما ينبغي للمضيف أن يكون لبقًا في حديثه مع أضيافه فلا يحدثهم إلا بما تميل إليه نفوسهم، ولا يحدثهم بما يصدهم به، وألا ينام قبلهم، ولايشكو الزمان بحضورهـــم، وأنْ يبش عند قدومهم ويستزيد مُكثهم عند وداعهـــم، ولا يغضـــب علـــى أحـــد بحضورهم، ولا يُظهِر نَكَدًا، ولا يَنْهَر أحدًا، ولا يشتم أحدا بحضرتهم.

روي عن أحد الكرام أنه دعا جماعة من أصحابه إلى بستانه وعمل لهم سِمَاطًا، وكان له ولد جميل الطلعة، فكان الولد في أول النهار يخدم القوم ويأنسون به، وفي آخر النهار من ذلك اليوم صعد إلى السطح فسقط فمات لوقته، فحلف أبوه علـــى أمِّـــه بالطلاق ثلاثًا ألا تصرخ ولا تبكي إلى أن تُصبح، فلما كان الليل سأله أضيافه عن ولده فقال لهم: هو نائم، فلما أصبحوا وأرادوا الخروج، قال لهم: إن رأيتم أن تصلوا علـــى ولدي فإنه بالأمس سقط من على السطح فمات لساعته. فقالوا له: لِمَ لَمْ تخبرنا حـــين سألناك؟ فقال: ما ينبغي لعاقل أن ينغص على أضيافه في التذاذهم، ولا يكدر عليهم في عيشهم. فتعجبوا من صبره وجلده ومكارم أخلاقه. ثم صلوا على الغلام وحضروا دفنه وبكوا عليه وانصرفوا.

---

[٥٩] سورة هود: ٧٠-٧١.

www.mtenback.com

ومن آداب المضيف أن يأمر بحفظ متاع أضيافه وتفقد أحوالهم بما يكفيهم ويسهل حُجَّابه[٦٠]، ولا يمنع واردًا، وأن يُرِيَ أضيافه مكان الخلاء، وألا يتأخر عن أضيافه ولا يمنعه عن ذلك قلة ما في يده بل يحضُر إليهم ما وجد. فقد جاء عن أنس وغيره من الصحابة أنهم كانوا يقدمون الكسرة اليابسة وحشف التمر ويقولون: أيهما أعظم وزرًا، الذي يحتقر ما قُدِّم إليه أو الذي يحتقر ما عنده أن يقدمه؟

ومن آداب المضيف ألا ينتظر من يحضر من عشيرته إذا قَدَّم الطعام. فقد قيل ثلاثة تضني: سراج لا يضيء، ورسول بطيء، ومائدة ينتظر لها مَنْ يَجِيء[٦١].

أما الخلة الظاهرة والتي يعرف بها المضيف ويذيع صيته ويشتهر بسببها هي خلة الكرم. قيل لقيس بن سعد: هل رأيت قط أسخى منك؟ قال: نعم، نزلنا بالبادية على امرأة فجاء زوجها فقالت له: إنه نزل بنا ضيفان. فجاء بناقة فنحرها وقال: شأنكم. فلما كان الغد جاء بأخرى فنحرها فقال: شأنكم، فقلنا: ما أكلنا من التي نحرت البارحة إلا القليل. فقال: إني لا أطعم ضيوفي البائت. فبقينا عنده أيامًا والسماء تمطر، وهو يفعل كذلك، فلما أردنا الرحيل وضعنا في بيته مئة دينار، وقلنا للمرأة اعتذري لنا إليه، ومضينا . فلما ارتفع النهار إذا برجلٍ يصيح خلفنا: قفوا أيها الركب اللئام، أعطيتمونا ثمن قِرَانا. ثم إنه لَحِقَنا وقال: خذوها وإلا طعنتكم برمحي هذا، فأخذناها وانصرفنا[٦٢].

ومن حكايات التراث الشعبي المعاصر أن بدويًا قدم المدينة، فإذا رجل واقف بباب ينادي المارة: تفضلوا.. تفضلوا، فقال البدوي في نفسه: ما أكرم أهل البيت، فدخل ملبيًا دعوة هذا الكريم، فرحب به رجل آخر وأجلسه إلى طاولة من عدد كبير من

---

[٦٠] يسهل حجابه: يصرفهم وقت الطعام.

[٦١] شهاب الدين الأبشيهي: المستطرف... ، م١، ص ٢٦٥ - ٢٦٨.

[٦٢] شهاب الدين الأبشيهي: المستطرف...، م١، ص ٢٣٥.

www.mtenback.com

الطاولات، ثم سأله: ماذا تريد أن تأكل؟ فاستغرب البدوي السؤال، لأن لدى البدو مَثَلاً يقول: «إذا سأل المعزِّب[٦٣] ضيفه كان معابا»، ومع ذلك كبت ذلك في نفسه وقال: ما تجود به نفسك . فأحضر إليه طعامًا، فأكل وشرب وحمد الله ثم غسل يديه وتوجه نحو الباب قاصدًا الخروج، وهو يشكر صاحب المكان الذي كان يجلس إلى مكتب قرب الباب، ولكن الرجل فاجأ البدوي بقوله: الحساب يا عم. فرد البدوي قائلا: أي حساب؟ فقال الرجل: ثمن الطعام الذي أكلته ! فصعق البدوي دهشة، وقال: ما أبخلك. أتدعو الناس للطعام ثم تطالبهم بثمنه؟ فقال له الرجل: هذا مطعم، وليس مضافة. ولكن البدوي لم يدرك الفرق بينهما، فهذه أول مرة ينزل بها إلى المدينة. ومع ذلك دفع للرجل ما يريد، ثم انصرف وهو يسب المدينة وأهلها البخلاء.

قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ولا يؤذ جاره».

وورد في بعض الكتب أنه قيل لإبراهيم الخليل عليه السلام: بم اتخذك الله خليلا؟ قال: بثلاث، ما خيرت بين شيئين إلا اخترت الذي لله علي ، ولا اهتممت بما تكفل لي به، ولا تغديت ولا تعشيت إلا مع ضيف .

وتقول العامة: (المائدة مرزوقة)، أي من كان مضيافًا وَسَّع الله عليه.

وقيل إن أول مَنْ سَنَّ القِرَى إبراهيم الخليل عليه السلام، وأول من ثرد الثريد وهشمه هاشم، وأول من أفطر جيرانه على طعامه في الإسلام عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما وهو أول من وضع موائده على الطريق[٦٤].

قال أبو سليمان الداراني: لو أن الدنيا كلها لي، فجعلتها في فم أخ من إخواني لاستقللتها له.

---

[٦٣] المعزِّب: المضيف.

[٦٤] شهاب الدين الأبشيهي: المستطرف...، المجلد الأول، ص٢٦٥-٢٧١.

www.mtenback.com

وقال أيضا: إني لألقم اللقمة أخًا من إخواني فأجد طعمها في حلقي[٦٥].

نزل أضياف بأعرابي من بني سعد، وكان قد خطب فقام إلى الرحى فطحن لهم فمرت به خطيبته وأنكرت عمله حيث إن الطحن للنساء ولا يقوم به الرجال عادة فرد عليها أن الضيف يجب أن يخدم وقال [٦٦]:

تَقُوْلُ وَصَكَّتْ صَدْرَهَا بِيَمِيْنِهَا ... أَبَعْلِيَ هَذَا بِالرَّحى المُتقاعِسُ

فَقُلْتُ لَهَا: لاَ تَعْجَبِيْ وَتَبَيَّنِيْ ... بَلاَئِي إِذَا الْتَفَّتْ عَلَيَّ الفَوَارِسُ

أَلَسْتُ أَرُدُّ القِرْنَ يَرْكَبُ دِرْعَهُ ... وَفِيْهِ سِنَانٌ ذُو غِرَارَيْنِ يَابِسُ

إِذَا هَابَ أَقْوَامٌ تَجَشَّمْتُ هَوْلَ مَا ... يَهَابُ حُمَيَّاهُ الأَلَدُّ المُدَاعِسُ

لَعَمْرُ أَبِيْكِ الخَيْرِ إِنِّيْ لَخَادِمٌ ... لِضَيْفِيْ، وَإِنِّي إِنْ رَكِبْتُ لَفَارِسُ

يقول لها، أنكرتني إذ رأتني أكرم ضيفي، بيد أن خدمة الضيف فخر وليس فيها ما يعيب، وهي لا تنقص من قدري ولا من شجاعتي وإقدامي، فإني إن ركبت إلى الحرب لفارس مغوار، أبلي البلاء الحسن.

إن شهرة الكرم تلازم المرء في حياته ومماته حتى إن الخلَف يرثها عن السلفِ حفاظًا على سمعة الآباء والعشيرة، وحرصًا على إبقاء هذه الخلة العظيمة في نظر العرب صفة من صفات العشيرة. من أقاصيص العرب أن نفرًا من عبد القيس مروا بقبر حاتم، ونزلوا قريبًا منه. فقام أحدهم ويدعى أبو الخيبرى، وأخذ يركل قبر حاتم الطائي برجله ويقول: أَقْرِنا، فقال له بعض رفاقه: ويلك، ما يدعوك أن تعرض لرجلٍ قد مات؟ فقال: إن طيًا تزعم أنه ما نزل به أحد إلا قَرَاهُ.

---

[٦٥] عبدالغني نكه مي: حدائق المتقين...، ص ١٧٧.

[٦٦] المبرد: الكامل، ج١، ص ٣٥.

www.mtenback.com

وما إن جن الليل واستسلموا للنوم حتى هب أبو الخيبرى من نومه فزعًا يصيح: واراحلتاه، فقال له صحبه: ما بك يا رجل؟ فقال: رأيت في المنام حاتمًا الطائي يعقر ناقتي بسيفه وهو ينشد:

أَبَا الخَيْبَرى وَأَنْتَ امْرُؤٌ ... ظَلُومُ العَشِيْرَةِ شَتَّامُها

أَتَيْتَ بِصَحْبِكَ تَبْغِي القِرَى ... لَدَى حُفْرَةٍ قَدْ صَدَتْ هَامُهَا[٦٧]

أَتَبْغِي لنا الذَّمَّ عِنْدَ الْمَبِيْتِ ... وَحَوْلَكَ طَيٌّ وَأَنْعَامُهَا

فَإِنَّا لَنُشْبِعُ أَضْيَافَنَا ... وَتَأْتِي المَطِيُّ فَنَعْتَامُهَا[٦٨]

فقاموا فإذا بناقة الرجل تمشي على ثلاث، «من عادة العرب أن يعرقبوا الناقة أو الجمل عند المبيت، أو يربطوا إحدى قائمتيه الأماميتين كي لا يتمكن من الشرود والهرب» فانتحروها وباتوا يأكلون وقالوا: قرانا حاتم حيًّا ومَيتًا.

ثم انصرفوا وقد أردفوا صاحب الناقة معهم، وإذا برجل راكب بعيرًا ويقود بعيرًا يناديهم متسائلا: أيكم أبو الخيبرى؟ فقال الرجل: أنا، فقال:خذ هذا البعير. أنا عدي بن حاتم. جاءني والدي في النوم وقال: إنه قَرَاكُم بِنَاقَتِكَ، وأمرني أن أحملَكَ، فشأنك والبعير. ودفعه إليه وانصرف[٦٩].

وكانت العرب إذا اشتهر كريم فيهم ومالت به الأيام، أو كان فقيرًا، فإنهم يقدمون له ما يستطيعون لإعانته على مروءته والاحتفاظ بسمعته وكرمه. ومن طريف ما يروى أن نصيبًا الشاعر حل ضيفًا ومعه رجلان من قريش على امرأة تكنى أم حبيب، معروفة بكرمها وقراها. فقال نصيب يمدحها ويتغزل فيها:

---

[٦٧] صدت هامها: صوتت طيورها فوق القبر.

[٦٨] نعتامها: نحلبها عشاء متأخرين لقرى الضيف.

[٦٩] المولى وإبراهيم والبجاوي: قصص العرب ج ٤، ص ٣٨٠-٣٨١.

www.mtenback.com

ألا حَـيِّ قَبْـلَ البَيْـنِ أُمَّ حبيـبِ وَإِنْ لَمْ تَكُـنْ مِنَّـا غَـدًا بِقَرِيْـبِ
وَإِن لَمْ يَكُنْ أَنِّـي أُحِبُّـكِ صَادِقًـا فَمَـا أَحَـدٌ عِنْـدِيْ إِذًا بِحَبِيْـبِ
تِهَـامٌ أَصَـابَتْ قَلْبَـهُ مَلَلِيَّـةٌ[٧٠] غَرِيْبُ الهَوَى وَاهًـا لِكُـلِّ غَرِيْـبِ

طرق الدعوة إلى الطعام والحفلات:

لا زال الناس يمارسون إلى اليوم بعضًا من عادات العرب في الدعوة إلى طعامٍ أو إلى حفل أو ندوةٍ أو عرس.. وهي عاداتٌ كان لها أشكالٌ وطرائق عدّة، منها:

إشعال النار:

كانت العرب توقد النار في بيوت الشَّعر، وخصوصًا في بيت سيد القبيلة وكبيرها ليل نهار، كي يراها القاصي وعابر السبيل، أو توقد النار أحيانًا على مرتفع قريب من مضرب الخيام لتلفت أنظار المسافرين من بعيد أو التائهين عن الطريق فتكون لهم مرشدًا إلى ملاذ يقدم لهم العون فيتوجهون نحو تلك النار. وكانت هذه النار خير مرشد لعابري السبيل خصوصًا في فصل الشتاء إذ يكون الليل أشد ظلمة والبرد أشد قساوة.

روي عن حاتم الطائي أنه كان يأمر غلامه فيوقد نارًا في بقاع (تل) من الأرض لينظر إليه من ضل الطريق ليلاً فيصعد نحوه، خصوصًا إذا اشتد البرد في الشتاء، وقال في ذلك[٧١]:

أَوْقِـدْ فَـإِنَّ اللَّيْـلَ لَيْـلٌ قَـرُّ وَالرِّيْـحُ يَـا مُوقِـدُ رِيْـحٌ صِـرُّ
عَسَـى يَـرَى نَـارَكَ مَـنْ يَمُـرُّ إِنْ جَلَبَـتْ ضَيْفًـا فَـأَنْتَ حُـرُّ

---

(٧٠) لأن أم حبيب من أهل ملل.

(٧١) حاتم الطائي، ابن عبد الله: ديوان حاتم الطائي وأخباره، صنعة: يحيى بن مدرك الطائي، رواية هشام بن محمد الكلبي، دراسة وتحقيق: د. عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، (د.ت)، ص٦٩.

www.mtenback.com

فلا يكتفي العرب بالدعوة المباشرة وهي إشعال النار ولكنه يهب ثمنًا غاليًا لمن يقوم على هذه الدعوة المعلنة وأي ثمن إنها عتق رقبة فما أكبر سرور من هذا حاله وما أكرمه، تلك سجية من سجايا العرب وخلق من أخلاقهم طبعوا عليه وعطفتهم إليه خصالهم الكريمة.

ومن أشكال الدعوة قديمًا عند العرب استخدام الكلاب وكانت تستخدم في الوقت نفسه لحراسة بيوت الشعر والغنم من هجمات الذئاب واللصوص.

روي أن حاتمًا شوهد يضرب ابنه لأنه ضرب كلبة دلّت عليه أضيافه وهو يقول[٧٢]:

أَقُولُ لابْنِي وَقَدْ سَطَتْ يَدُهُ ... بِكَلْبَةٍ لاَ يَزَالُ يَجْلِدُهَا

أَوْصِيكَ خَيْرًا فَإِنَّ لَهَا ... عِنْدِي يَدًا لا أَزَالُ أَحْمَدُهَا

تَدُلُّ ضَيْفِي عَلَيَّ فِي غَلَسِ اللَّيْـ ... ـلِ إِذَا النَّارُ نَامَ مُوْقِدُهَا

للكلبة، عنده فضل لأنها تجلب له الضيوف بنباحها عندما تُفتقد النار ، وهو يحفظ لها هذا الجميل. لذلك عندما رأى ولده يضربها غضب منه غضبًا جعله يضربه ويعاقبه مع تعليل سلوكه هذا لابنه وتوجيه وصية له بأن يشكر لهذا الحيوان الأليف عمله. وفي ذلك عمل تربوي صائب ؛ فهو لم يعاقب ابنه إلا وقد قرن العقوبة بتعليل مقنع كيلا يلتبس الأمر على الولد فبين له أسباب العقوبة. لارتكابه عملاً ربما يحول دون وصول الضيوف إلى البيت أو دون اهتدائهم إلى طريقه، وقد أراد الأب أن يغرس في نفس ابنه خلة الكرم وإقراء الضيوف، وتقديم كل ما فيه خير وعون للناس بطريقة عملية تطبيقية، وليس بالوعظ والكلام والادعاء فحسب.

أما عبد الله بن عباس فكان يدعو الناس إلى الطعام ويضع الموائد على الطريق حتى تكون الدعوة أكثر وضوحًا وبيانًا ولا يحجب عنها أحدًا؛ وفيه يقول الشاعر:

---

[٧٢] حاتم الطائي: ديوانه، ص٧٠.

www.mtenback.com

وَفِي السَّنَةِ الشَّهْبَاء أَطْعَمْتَ حَامِضًا وَحُلْوًا، وَلَحْمًا تَامِكًا وَمُمَزَّعَا[٧٣]

وقد جرت العادة عند كثير من أهل القرى والبوادي العربية أن توضع موائد الطعام في مضافة زعيم العشيرة ليل نهار، والمضافة لا يغلق لها باب أبدًا فتستقبل الضيوف من كل حدب وصوب، ويتناولون الطعام، ويصيبون شيئا من الراحة، ويشربون القهوة العربية المُرَّة التي تكون جاهزة طيلة الوقت ساخنة ومهيأة لأي طارئ على الحي، ومنهم من يبيت ليلة هناك متمتعًا بالدفء والسمر مع أهل القرية الذين يرحبون به دون أن يعرفوه، ويلبون له حاجته إن كانت له حاجة، وبعد ذلك يستأنفون رحلتهم إلى غايتها. ويذكر أنَّ الموائد في القرى والبادية العربية كانت توضع طيلة أيام عيدي الفطر والأضحى في البيوت والمعايدة مقترنة بتناول لقيمات على الأقل من المائدة الموضوعة، تمامًا كما تقدم اليوم السكاكر والحلويات وأنواع الأطعمة.

المرسال: ويكون للدعوات الرسمية في الأفراح أو الأتراح، إذ يرسل أشخاص يطلق عليهم (مراسيل) مفردها مرسال مزودين برسائل أو بدونها يدعون فيها رجالات العشائر الأخرى إلى عرس مثلا، أو يحيطونهم علمًا بوفاة وجيه أو عَلَم من أعلام البلد. يلبي المدعوون تلك الدعوات ويَقدُمُون محملين بالهدايا التي تكون غالبًا أكياسًا من الأرز والسكر والقهوة مصحوبة بالخراف أو الجمال أو العجول لتكون ذبائح تنحر في الحفل، ولدى وصول المدعوين يكون المضيفون في استقبالهم على مشارف القرية ويصحبونهم إلى مكان الضيافة وهم يهزجون ويرقصون إن كانت الدعوة إلى فرح، ويطلقون العيارات النارية ابتهاجًا، وما إن تحط رحال الضيوف حتى تنحر الذبائح وتعد مناسف الطعام وتقدم الموائد إلى الضيوف وسط الأهازيج والأشعار المألوفة لدى العرب.

---

[٧٣] ممزعًا: مقطعًا ممزقًا.

www.mtenback.com

أما في المأتم فلا توجه دعوات صريحة ذات هيئة رسّمية واجتماعية، بل ترسل إشعارات إلى وجهاء القرى والعشائر في المنطقة بأن فلانًا الوجيه قد وافته المنية، أو أن مصابًا جللاً قد حلّ. وتُعد هذه الإشعارات بمثابة دعوة للإسهام في المواساة. فيقدم الذين عرفوا بالحادث، محملين بأكياس الأرز والسكر والقهوة والذبائح، ويُستقبلون بحفاوة وتكريم، ولكن بدون غناء، بل يكون الاستقبال مطبوعًا بطابع الحزن. تذبح الذبائح وتعد الموائد وتقدم للمعزين ثم ينصرفون. وكانت مثل هذه المناسبات والدعوات تعزز الصلات الحميمة بين الناس وتقوي روابط المحبة والإخاء والتعاون بين القبائل والعشائر وتطفئ نار الفتن وتلغي أسباب الشقاق.

وقد ورد في التراث نماذج من رسائل الدعوة إلى زيارة أو إلى لقاء، فممّا كتبه الحسين بن الحسن بن سهل إلى صديقٍ له:

نحن في مأدبة لنا تشرف على روضة تضاحك الشمس حسنًا، قد باتت السماء تُطِلُّها[٧٤]، فهي شَرِقةٌ[٧٥] بِمَائِهَا، حاليةٌ بِنُوَّارِهَا[٧٦] فبادر إلينا، لنكون على استمتاع بعضنا ببعض. فكان جواب صديقه: «هذه صفة لو كانت في أقاصي الأطراف لوجب انتجاعها وحث المطي في ابتغائها، فكيف في موضع أنت تسكنه، وتجمع إلى أنيق منظره حسنَ وجهك وطيب شمائلك، وأنا الجواب».

دعوة رقيقة معبرة، وجواب أرق وأبلغ في قبول الدعوة بعبارته الأخيرة الطريفة: «وأنا الجواب».

ومن رسائل الدعوات ما كتبه شخصٌ يدعو صديقه إلى زيارته فقال: إن من ظمئ شوقه من رؤيتك، استوجب الرّي من زيارتك.

---

(٧٤) تمْطرها.

(٧٥) شَرِقت: امتلأت.

(٧٦) النُّوّار: الزهر

www.mtenback.com

ثم كتب تحت هذا الكلام بيتين من الشعر:

سِرْ إِلَيْنَا تَفْدِيكَ نَفْسِي مِـــنَ السُّـــوْ ... ءِ فَقَـــدْ طَـــالَ عَهْدُنَـــا بِـــالتَّلاَقِي

وَاجْعَلَـــنْ ذَاكَ إِنْ رَأَيْـــتَ جَوَابِـــي ... فَلَقَـــدْ خِفْـــتُ سَـــطْوَةَ الاشْـــتِيَاقِ

وقال أحدهم داعيًا صديقه إلى زيارته: إلى الله أشكو شِدَّةَ الوحشـــة لغيبتـــك، وفرط الحزن من فراقك، وظلم الأيام بعدك وأقول كما قال بعض المحدثين[٧٧]:

غَضَارَةُ دُنْيَا أَظْلَمَ العَيْـــشُ بَعْدَهَـــا ... وَعِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ يُعْرَفُ فَقْدُهَـــا

وقال أحدهم: طال العهد بالاجتماع حتى كدنا نتناكر عند اللقاء، وقد جعلك الله للسرور نظامًا وللأنس تمامًا، وجعل المَشَاهِدَ مُوحِشَةً إذا خلت منك.

وكتب الحسن بن وهب إلى محمد بن عبد الله الزيات:

أَوْجَبَ العُذْرَ فِـــي تَرَاخِـــي اللِّقَـــاءِ ... مَـــا تَوَالَـــى مِـــنْ هَـــذِهِ الأَنْـــوَاءِ

فَسَـــلامُ الإِلَـــهِ أُهْدِيْـــــهِ مِنِّـــي ... كُـــلَّ يَـــوْمٍ لِسَـــــيِّدِ الـــــوُزَرَاءِ

لَسْتُ أَدْرِي مَـــاذَا أَقُـــوْلُ وَأَشْـــكُو ... مِنْ سَـــمَاءٍ تَعُوقُنِـــي عَـــنْ سَـــمَاءِ

غَيْرَ أَنِّي أَدْعُو عَلَى تِلْـــكَ بِالثُّكْـــ ... ـــلِ وَأَدْعُـــــو لِهَـــــذِهِ بِالبَقَـــــاءِ

وقال آخر[٧٨]:

أَزُورُ مُحَمَّـــــدًا فَـــــإِذَا التَقَيْنَـــــا ... تَكَلَّمَتِ الضَّمَـــائِرُ فِـــي الصُّـــدُورِ

فَـــأَرْجِعُ لَـــمْ أَلُمْـــهُ وَلَـــمْ يَلُمْنِـــي ... وَقَدْ رَضِيَ الضَّمِـــيْرُ عَـــنِ الضَّمِـــيْرِ

ما زالت تلك التقاليد سارية في الريف العربي وفي مناطق البادية والصحراء حيث يقيم البدو، ولعلّ ما تغيّر هو أن السيارات أخذت تحـــل محـــلّ الخيـــول والجمـــال في الاحتفالات.

---

[٧٧] الغضارة: النعمة والسّعة

[٧٨] ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، ج٤، ص٢٢٥-٢٢٧.

www.mtenback.com

أما في المدن، فقد اختلف الأمر كثيرًا، إذ اقتصرت دعوات الأفراح على توجيه بطاقات مطبوعة تكاد تكون موحدة العبارات عند الجميع، وإن اختلف شكلها من فئة اجتماعية إلى أخرى، فالفئات المتوسطة والفقيرة ربما اختارت بطاقات عادية، ويختار الأغنياء والمسؤولون فى السلطة بطاقات أكثر تعقيداً وزخرفة، حتى إن بعضها يكون مطعمًا بخيوط من الفضة أو الذهب. أما الاحتفالات التى تقيمها الفئات الفقيرة والمتوسطة فتكون غالبًا إما على سطوح المنازل أو في ساحة أمام الدار أو في صالات مخصصة لمثل هذه المناسبات تستأجر لليلة واحدة، ولا يُقدَّم في مثل هذه الحفلات سوى طعام يعتاده أهل الحفل ويستلذه المدعوون.

أما الأغنياء والحكام فيقدمون طعامًا في فنادق من الدرجة الممتازة، وغالبًا ما تكون الدعوات إلى ما يسمى بالموائد المفتوحة، أي موائد تحوي مختلف أنواع الأطعمة الشهية والحلويات، ويتجول المدعوون بين أطباقها وألوانها يختارون ما يلذ لهم ويطيب بغير حساب.

لقد أخذت المظاهر الأصلية للأفراح الريفية والبدوية بالانحسار والاختفاء مع تقدم الحياة وتطور وسائلها وأدواتها، وغزو المدنية حتى الأرياف حيث أصبح بعض أهلها يقلدون أهل المدينة في إقامة معظم حفلاتهم في الصالات التي يضج بعضها بالموسيقى الصاخبة والأغانى المسجلة أو المباشرة، ولكن من خلال مكبرات صوت تُصدِّع الرؤوس ويرقص على أنغامها الشباب والشابات من أهل العروسين والأقارب والأصدقاء المدعوين.

كان الناس يتباهون بما يسمونه «النُقُوط» إذ يقوم الأهل والأصدقاء بتقديم مبلغ من المال للعريس أو العروس مع النداء باسم «النُّقُوطْ» وبالمبلغ الذى «يُنَقَّط» ويعد ذلك مساعدة للعروسين في بداية حياتهما. وتطورت هذه العادة في بعض المناطق فصاروا يقدمون بعض قطع الأثاث المنزلي لبيت العروسين بعد معرفة ما يحتاجان إليه.

www.mtenback.com

وبعض الناس يقدمون الصحون والفناجين وكؤوس الماء وغير ذلك، إضافة إلى أكاليل الورد التي يُؤتى بها إلى صالة الاحتفال وكثيراً ما تحدث مبالغات في التفاخر بتقديم أنواع الأكاليل التي قد يبلغ ثمن الواحد منها ألف دولار أو أكثر ، وفي هذا تبذير لا مسوّغ له. لذلك شرعت بعض الفئات، تنهج نهجاً عمليًّا مفيداً، وخصوصاً في الأفراح، إذ قامت بعض المصانع بتصنيع أكاليل زهور من البلاستيك، وبيعها للمشاركين في الحفل، وتعود أثمان هذه الأكاليل التي تسترد فيما بعد، إلى مشاريع الخير والإحسان ومساعدة الفقراء. واكتفت بعض الفئات بدفع مبلغ يعادل ثمن إكليل الورد إلى مكتب مخصص لهذه الغاية لقاء إيصال رسمي، وذلك بدلاً من بيع أكاليل اصطناعية ثم استردادها. ولا شك أن العادات تتغير بشكل سريع وأهم ما يتغير في هذا الوقت هو طبيعة الدعوة ومناسباتها.

الدعوة إلى الخير ومكارم الأخلاق:

الدعوة إلى الخير والمعروف سمة أصيلة من سمات العرب، وعادة عريقة من عاداتهم، حتى إن القرآن الكريم أشار إلى ذلك ودعا إليه وحض عليه، وكذلك الرسول ﷺ في أحاديث كثيرة، فكانت الدعوة إلى الخير جزءاً أصيلاً من رسالة الإسلام وسمة من سماته البارزة، قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٧٩].

وقال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[٨٠].

---

[٧٩] سورة آل عمران: ١٠٤.

[٨٠] سورة لقمان: ١٧.

www.mtenback.com

وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٨١].

وورد في الحديث: «لتأمُرنَّ بالمعروف وتنهون عن المنكر ولتأخذنَّ على يد الظالم، ولتأطُرنَّهُ على الحق أطرًا، أو ليضرِبَنَّ الله بعضكم ببعض ثم تدعون فلا يُستَجَابُ لكم»[٨٢].

وقال ﷺ: «من ذب عن عرض أخيه رَدَّ الله النار عن وجهه يوم القيامة»[٨٣].

ولئن كان إجابة الدعوة من مكارم الأخلاق، فإنّ من أحسنها ترك السؤال والطلب من الناس، فإن لم يكن من ذلك بُدٌّ وجب على العاقل البصير أن يُحْسِن اختيار مَن يُلقِي إليه بحاجته فلا يردّه مخذولاً خائبًا فيزيد حاجته ألمًا وانكسارًا. يروى أن أعرابيًّا دخل على خالد بن عبدالله القَسْري، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول:

أَصْلَحَكَ اللهُ قَلَّ مَا بِيَدِي ... فَمَا أُطِيقُ العِيَالَ إِذْ كَثُرُوا

نَاخَ دَهْرٌ أَلْقَى بِكَلْكَلِهِ ... فَارْسَلُونِي إِلَيْكَ وانْتَظَرُوا

قال: أرسلوك وانتظروا، والله لا تجلس حتى تعود إليهم بما يسرهم ، فأمر له بأربع من الجمال موقورة بُرًّا وتَمْرًا.

ويروى أن أعرابية وقفت على عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما فقالت: إني من أرض شاسعة، تهبطني هابطة، وترفعني رافعة أي أنزل واديًا وأصعد تلالاً في وادٍ بَرِيْنَ لحمي، وهِضْنَ[٨٤] عظمي، وتركنني وَالِهَةً قد ضاق بي البلد بعد

---

[٨١] سورة المائدة: ٢.

[٨٢] رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجة وابن حنبل.

[٨٣] ابن الأثير: جامع الأصول، ج٦، ص ٥٦٩-٥٧٠، رقم الحديث ٤٨٠٦.

[٨٤] هاض: كسر.

www.mtenback.com

الأهل والولد وكثرة العدد، لا قرابة تؤويني، ولا عشيرة تحميني، فسألت أحيـاء العرب من المرتجى سيبه، المأمون غيبه، الكثير نائله، المَكْفِيُّ سائلُه، فَدُلِلْتُ عليك، وأنا امـرأة من هوازن فقدت الولد والوالد فاصنع من أمري واحدة من ثلاث:

إمّا أن تحسن صفدي[٨٥]، وإما أن تقيم أَوَدِي، وإما أن تردني إلى بلـدي. قال: أجمعهُن لك. ففعل ذلك لها.

ومن الحكايات الفكهة وذات الدلالة بآنٍ واحد، ما رواه الشيباني أن رجلاً أقبل إلى مالك بن طوق، فأقام بالرحبة حينًا. وكان الرجل من بني أسد صعلوكا في عبـاءة من صوف وشملة شعر، فكلما أراد الدخول منعه الحُجَّابُ، وَشَتَمَهُ العبيـدُ. فلما كان في بعض الأيام، خرج مالك بن طوق يريد التنزه حول الرحبة، فعارضه الرجل، فـأراد الشّرَط منعه، فلم يثنه ذلك حتى أخذ بعنان فرسه، ثم قال: أيها الأمير، إني عائذ بـك من أشراطك هؤلاء ، فقال مالك: دعوا الرجل، هل من حاجة يا أخا العرب؟ قـال: نعم، أصلح الله الأمير، أن تصغي إليَّ بسـمعك، وتنظـر إليَّ بطرفـك، وتقبـل إليَّ بوجهك، قال : نعم. فأنشأ يقول:

بِبَابِكَ دُوْنَ النَّاسِ أَنْزَلْـتُ حَـاجَتِي ... وَأَقْبَلْتُ أَسْـعَى حَوْلَـهُ وَأَطُـوْفُ

وَيَمْنَعُنِي الحُجَّابُ وَالسِّـتْرُ مُسْـبَلٌ ... وَأَنْتَ بَعِيْـدٌ وَالشُّـرُوطُ صُفُـوْفُ

يَدُوْرُوْنَ حَوْلِي فِي الجُلُوْسِ كَـأَنَّهُم ... ذِئَـابٌ جِيَـاعٌ بَيْنَهُـنَّ خَـرُوْفُ

فَأَمَّا وَقَدْ أَبْصَرْتُ وَجْهَـكَ مُقْبِـلاً ... فَـأُصْرَفُ عَنْـهُ إِنَّـنِي لَضَعِيْـفُ

وَمَا لِي مِنَ الدُّنْيَا سِـوَاكَ وَلاَ لِمَـنْ ... تَرَكْـتُ وَرَائِـي مَرْبَـعٌ وَمَصِيْـفُ

وَقَدْ عَلِمَ الحَيَّانِ: قَيْـسٌ وَخِنْـدَفٌ ... وَمَنْ هُـوَ فِيْهَـا نَـازِلٌ وَحَلِيْـفُ

تَخَطَّـيَ أَعْنَـاقَ المُلُـوْكِ وَرِحْلَتِـي ... إِلَيْكَ وَقَدْ أَخْنَـتْ عَلَـيَّ صُـرُوْفُ

[٨٥] صفدي: عطائي.

www.mtenback.com

فَجِئْتُكَ أَبْغِي الْيُسْرَ مِنْكَ فَمَـرَّ بِـي ... بِبابِكَ مِنْ ضَرْبِ العَبِيْـدِ صُنُـوْفُ
فَلاَ تَجْعَلَنْ لِي نَحْـوَ بَـابِكَ عَـوْدَةً ... فَقَلْبِي مِنْ ضَرْبِ الشُّرُوطِ مَخُـوْفُ

فاستضحك مالك حتى كاد يسقط عن فرسه، ثم قال لمن حوله، من يعطيه درهما بدرهمين، وثوبا بثوبين؟ فوقعت عليه الثياب والدراهم من كل جانب حتى تحيّر، ثم قال له مالك: هل بقيت لك حاجة؟ قال: أما إليك فلا. قال: فإلى مَنْ؟ قال: إلى الله أن يبقيك للعرب، فإنها ما تزال بخير ما بقيت فيها[٨٦].

كل ما تقدم وإن كان يظهر في باب حسن إتيان المسألة، فإنه يؤكد حُسن الاستجابة للحاجة وحسن قضاء أمور الناس وهي دعوة غير مباشرة للقدوة الحسنة بهم.

والعرب تكره الإذلال والخنوع، قال رجل لابنه: إياك أن تريق ماء وجهك عند من لا ماء في وجهه. وكان لقمان يقول لولده: يا بُنَيّ، إياك والسؤال فإنه يذهب ماء الحياء من الوجه، وأعظم من هذا استخفاف الناس بك.

وقيل: مسألة الناس من الفواحش، وما أُحِلَّ من الفواحش غيُرها. وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «لئن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله أعطاه أو منعه». وفي هذا تأكيد على كراهية السؤال واستسهال طريقه، بدلاً من سلوك سبيل العمل والجد. بيد أن الظروف أحيانًا تقهر أعتى الرجال، وفي هذه الحال إما أن يَهُبَّ مَنْ عرفوه لإقالته من عثرته وحماية كرامته وعزته من أن تهان بالسؤال، وإن لم يعلموا بما أصابه أو تقاعسوا ودفع إلى السؤال دفعًا فمن المستحسن عندها ألاّ يلجأ إلى لئيم، بل يلجأ إلى من عُرف بالكرم والسخاء. قال أحد الشعراء[٨٧]:

---

[٨٦] ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، ج ٣، ص ٤٨٢-٤٣٣.

[٨٧] شهاب الدين الأبشيهي: المستطرف، المجلد الثاني، ص ٣٨.

www.mtenback.com

لاَ تَسْـأَلَنَ بُنَـيَّ آدَمَ حَاجَـةً وَسَـلِ الَّـذِي أَبْوَابُـهُ لاَ تُحْجَـبُ
اَللهُ يَغْضَـبُ إِنْ تَرَكْـتَ سُـؤَالَهُ وَبُنَيَّ آدَمَ حِيْـنَ يُسـأَلُ يَغْضَـبُ

إنَّ العرب تكره ضيم السؤال إلا من الله، وتحترم العمل والكسب الذي لا يجعل لأحد معروفًا على المرء إلا الله كما يظهر من البيتين السابقين. ومن حكايات التراث التي تؤكد هذا الاتجاه الإسلامي ما روي عن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما إذ نزلت به يومًا ضائقة بعد أن حبس عنه معاوية بن أبي سفيان عطاءه السنوي الذي كان مئة ألف. فقال الحسن: دعوت بدواةٍ لأكتب إلى معاوية لأذكّره نفسي. ثم أمسكت. فرأيت رسول الله ﷺ في المنام، فقال: كيف أنت ياحسن؟، فقلت بخير يا أبت، وشكوت إليه تأخر المال علي. فقال: أدعوت بدواةٍ لتكتب إلى مخلوق مثلك تذكّره ذلك؟ فقلت: نعم يا رسول الله، فكيف أصنع؟. فقال: قل: اللهم اقذف في قلبي رجاءك واقطع رجائي عمن سواك، حتى لا أرجو أحدًا غيرك. اللهم وما ضَعُفَتْ عنه قوّتي، وقصّر عنه عملي، ولم تنته إليه رغبتي، ولم تبلغه مسألتي، ولم يجر على لساني مما أعطيت أحدًا من الأولين والآخرين من اليقين فخُصني به يا رب العالمين. قال: فوالله ما ألححت به أسبوعًا حتى بعث إليَّ معاوية بألف ألف وخمسمئة ألف، فقلت الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره ولا يخيب مَنْ دعاه. فرأيت النبي ﷺ في المنام، فقال: يا حسن، كيف أنت؟ فقلت: بخير يا رسول الله، وحدّثته بحديثي، فقال: يا بني هكذا من رجا الخالق ولم يرج المخلوق[٨٨].

وجاء وفد من هوازن إلى رسول الله ﷺ وهو بالجعرانة، وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله، إنّا أصلٌ وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفي عليك، فامنن علينا مَنَّ

---

[٨٨] الإمام الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر، مطبعة السعادة، توزيع المكتبة التجارية الكبرى، شارع محمد علي، ط١، (١٣٧١هـ/١٩٥٢م)، ص ١٩٣.

www.mtenback.com

الله عليك. وقام رجل منهم من بني سعد بن بكر، فقال: يا رسول الله، إنما في الحظائر عمّاتُكَ وخَالاتُكَ وحواضِنُكَ اللاتي كُنَّ يكَفَلْنكَ ولو أنا ملحنا للحارث بن سمـــر أو للنعمان بن المنذر ثم نزل منا بمثل ما نزلت به رجونا عطفه وعائدته علينا وأنت خـــير المكفولين. ثم قال:

أُمْنُنْ عَلَيْنَا رَسُـــولَ اللهِ فِـــيْ كَـــرَمٍ ... فَـــإِنَّكَ الْمَـــرْءُ نَرْجُـــوهُ وَنَدَّخِـــرُ

أُمْنُنْ عَلَـــى بَيْضَـــةٍ إِعْتَاقُهَـــا قَـــدَرٌ ... مُمَزَّقٌ شَـــمْلُهَا فِـــي دَهْرِهَـــا غِـــيَرُ

أَبْقَتْ لَنَا الحَرْبُ تَهْتَافًا عَلَـــى حَـــزَنٍ ... عَلَـــى قُلُوبِهِـــمِ الغَمَّـــاءُ وَالغَمَـــرُ

إِنْ لَمْ تُدَارِكْهُـــمْ نعْمَـــى تُنَشِّـــرُهَا ... يَا أَرْجَحَ النَّاسِ حِلْمًا حِيْـــنَ يُخْتَـــبَرِ

أُمْنُنْ عَلَى بَيْضَةٍ قَدْ كُنْـــتَ تَرْضَعُهَـــا ... إِذْ فُوْكَ يَمْلَـــؤُهُ مِـــنْ مَحْضِهَـــا دُرَرُ

لاَ تَجْعَلَنَّـــا كَمَـــنْ شَـــالَتْ نَعَامَتُـــهُ ... واستبق منَّـــا فَإِنَّـــا مَعْشَـــرٌ زُهُـــرُ

إِنَّـــا لَنَشْـــكُرُ آلاَءً وإِنْ كُفِـــرَتْ ... وَعِنْدَنَا بَعْـــدَ هَـــذَا الْيَـــوْمِ مُدَّكَـــرُ

قال رسول الله ﷺ: «أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟ قالوا: يـــا رسول الله، خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا فَلْتُرَدَّ علينا نساؤنا وأبناؤنا فهم أحب إلينـــا. فقال النبي ﷺ: أمّا ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وإذا صليت للناس الظهـــر فقوموا فقولوا إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا، فسأعطيكم عند ذلك و أسأل لكم».

فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر فتكلموا بالذي أمرهم به، فقال ﷺ: أما مـــا كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، قال المهاجرون ما كان لنا يا رسول الله فهو لـــك، وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله. قال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم، فلا وقال عيينة بن حصن: أما أنا وبنو فزارة، فلا، وقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنـــو

www.mtenback.com

سُليم، فلا، قالت بنو سُليم: ما كان لنا فهو لرسول الله. قال: يقول العباس لبني سُليم: وَهَنتمُوني، فقال رسول الله ﷺ: أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل إنسان ست فرائض من أول سَبْيٍ نُصيبه، فردوا على الناس أبناءهم ونساءهم[٨٩].

قال حاتم الطائي مخاطبًا زوجه ماوية[٩٠]:

أَمَاوِيَّ إِنَّ المَالَ غَادٍ وَرَائِحٌ ... وَيَبْقَى مِنَ المَالِ الأَحادِيْثُ والذِّكْرُ

وَقَدْ عَلِمَ الأَقْوَامُ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا ... أَرَادَ شِرَاءَ المَالِ كَانَ لَهُ وَفْرُ

لقد كان أهل الحاجة يقصدون مَنْ يستجيب لحاجاتهم ويقدّر دعواتهم ولا يعودون خائبين، فذلك هو الخُلق الذي تربى عليه العربي الشهم، فاستجابة دعوة المحتاج ومن يتوسل ببلاغته أو قرابته أو حق من حقوق العامة أو الخاصة لا تُرَدّ، بل تلبى دعوته بأي وسيلةٍ دعا.

وممّن تجب إجابة دعوتهم حثيثًا: المظلوم وإن إنصاف المظلوم ونجدة المستضعف من أروع ما تحلّى به العرب من مكارم الأخلاق، وتدلّ على عظيم نخوتهم وشهامتهم وروح التضامن الاجتماعي والأخلاقي العالية في مجتمعاتهم، وارتفاع سوية النزعة الإنسانية لديهم، وحرصهم على ضرورة تمتع الإنسان بحقه في الحياة حرًّا كريمًا، ولابد في هذا المقام من ذكر قصة الخليفة المعتصم التي شاعت بين الناس وخلدت في أذهان الأجيال منذ ذلك الحين حتى يومنا هذا، وغدت مثلا يُضْرَب، وقدوة تُحتَذى. وخلاصتها أن عِلجًا من عمورية لطم جارية مسلمة أسيرة من أحسن النساء سيرة

---

[٨٩] أبوبكر عبدالله بن محمد بن عبيد بن أبي سفيان بن قيس القرشي البغدادي المعروف بابن أبي الدنيا: كتاب مكارم الأخلاق، تحقيق: جيمز. أ. بلمي، سلسلة النشرات الاسلامية رقم ٢٥، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، ص ٩٤-٩٥.

[٩٠] الألوسي زاده: بلوغ الأرب، ص١١٤.

www.mtenback.com

فصاحت: وا معتصماه. فقال لها العِلج ساخرًا: وما يقدر عليه المعتصم؟، يجيء على أبلق وينصرك؟ وزاد ضربها.

فوصلت حكاية هذه الحسناء إلى المعتصم، فرد قائلا: لبيك أيتها الجارية، لبيك، هذا المعتصم بالله أجابك.ثم جهّز جيشا في اثني عشر ألفًا وحاصر عمورية، وطال حصارها، فجمع المنجمين ليستشيرهم، فقالوا له: إنا نرى أنك ما تفتحها إلا في زمان نُضْجِ العنب والتين. فشقّ عليه ذلك واغتمّ، وخرج ليلة مع حشمه متجسسًا في العسكر يسمع ما يقوله الناس، فمر بخيمة حداد يضرب نعال الخيل ومعه غلام أقرع قبيح المنظر يضرب هو الآخر على السندان ويقول: في رأس المعتصم.

فقال له معلمه: اتركنا من هذا، مالك وللمعتصم. فقال ما عنده من تدبير، له كذا وكذا يومًا على هذه المدينة مع قوّته ولا يفتحها. لو أعطاني الأمر ما بات غدا إلا فيها. تعجب المعتصم مما سمع. وفي الصباح أمر فجيء بالغلام فقال له المعتصم: ما حملك يا هذا على الذى بلغني عنك؟. فقال الغلام: الذي بلغك حق، ولو وليتني الحرب فإني أرجو أن يفتح الله عليك، فقال: قد وليتك، وخلع عليه وقدّمه على الحرب، ففتح الله عليه، ودخل المعتصم المدينة و لم يثبت قول المنجمين، ثم دعا الرجل الذى أخبره بما جرى للجارية، وطلب إليه أن يأخذه إلى الموضع الذى رآها فيه، وأخرجها من موضعها وقال لها المعتصم: يا جارية! هل أجابك المعتصم؟، ثم ملكها العلج الذى لطمها والسيد الذي كان يملكها وجميع ما له. وفي هذه الحادثة يقول أبو تمام[٩١]:

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ ... فَي حَدِّهِ الحَدُّ بَيْنَ الجِدِّ واللَعِبِ

وَالعِلْمُ في شُهُبِ الأَرْمَاحِ لاَمِعَةً ... بَيْنَ الخَمِيسَيْنِ لا فِي السَّبْعَةِ الشُّهُبِ

[٩١] شرح ديوان أبي تمام، للخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي، ط١، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

www.mtenback.com

وَخَوَّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَـــاءَ مُظْلِمَـــةٍ إِذَا بَدَى الْكَوكَبُ الغَربِيُّ ذُو الذَّنَب

تَخَرّصًـــا وأَحَادِيْثًـــا مُلَفَّقَـــةً لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُـــدَّتْ وَلاَ غَـــرَبِ

إلى أن يقول معرضًا بالتاريخ الذي حدّده المنجّمون لفتح عمورية:

تُسْعُوْنَ أَلْفًا كَآسَادِ الشَّرَى نَضِجَـــتْ جُلُوْدُهُمْ قَبْلَ نُضْجِ التِّيْـــنِ وَالْعِنَـــبِ

فهذا ضرب من استجابة الدعوة وقوة العزيمة والمروءة التي يحتاجها الكريم حتى يحقق مروءته وشهامته باستجابة الدعوة أيًّا كانت في الحرب أو في السلم، في الشدة أو في الرخاء وهو شأن العرب وخلقهم.

وما أسوأ ما دُعِيَ امرؤٌ إلى خيرٍ ومكرمةٍ وصلاحٍ توانى وتذرع وراوغ وتهرب. وصف أبو الأسود رجلاً هذا حاله قال: إذا سئل أرز، وإذا دُعِي انتهز، أي إذا طلـــب منه القيامُ بعملٍ صالحٍ أو المبادرة إلى خيرٍ أو مكرمة تضامَّ وتقبَّضَ ولم ينبسط لـــه، وإذا دُعِي إلى طعام أسرع إليه[٩٢].

ومن ذلك قول عون بن عبد الله: إذا سأل ألحف، وإذا سُئِلَ سَوَّفَ أي أن أمثال هذا المتواني عن فعل الخير يلحون في مطالبهم ويصرون على تلبية حاجاتهم ولكنهـــم إذا ما طلب منهم أداء خير سوّفوا وأجلوا، وابتكروا الأعذار كيلا يلبوا الدعوة.

وقد حذر الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الناس من التواني في عمـــل الخير، وحثهم على المبادرة بالعمل والاتعاظ بمن سبق من الأمم، وما حل بها عندمـــا انقطع الناس عن وصل إخوانهم وتقاعسوا عن عمل الخير، بقوله:

فلا أموال بذلتموها للذي رزقها، ولا أَنْفُسَ خاطرتم بها للذي خلقها. تَكْرُمُوْنَ بالله على عباده، ولا تُكْرِمُون الله في عباده.فاعتبروا بنزولِكم منازلَ مَنْ كان قبلَكـــم، وانقطاعِكم عن وصل إخوانكم[٩٣].

---

[٩٢] ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، ج ٣، ص ١١٦.

[٩٣] الشيخ محمد عبده: نهج البلاغة: ج ١، ص ٢٣١.

www.mtenback.com

أي تصيرون أعزاء بنسبتكم للإيمان بالله، ثم لا تبجلون الله ولا تعظمونه بالإحسان إلى عباده. وقال علي رضي الله عنه واصفًا جميل أخلاق الصالحين وصفاء نفوسهم: إنهم يتلاقون بالمحبة، ويتساقَوْنَ بكأس روية، ويصدرون بِرِيٍّ لا تشوبهم الريبة، ولا تسرع فيهم الغيبة. وعلى ذلك عَقَدَ خَلْقهم وأخلاقهم. فعليه يتوادون، وبه يتواصلون. فكانوا كتفاضل البِذر يُنتقى، فيؤخذ منهم ويُلْقى. قد ميّزه التخليص وهذَّبه التمحيص. فليقبل امرؤ كرامة بقبولها، وليذر قارعة قبل حلولها ولينظر امرؤ في قصير أيامه وقليل مقامه في منزل حتى يستبدل به منزلا. فليصنع لمتحوَّله ومعارف منتقلة فطوبى لذي قلب سليم، أطاع من يهديه وتجنب من يرديه، وأصاب سبيل السلامة ببَصَرِ مَنْ بصَّرَهُ وطاعة هادٍ أمرَهُ. وبادَر الُهدَى قبل أن تغلق أبوابه وتقطع أسبابه، واستفتح التوبة وأماط الحوبة فقد أقيم على الطريق وَهُدِيَ نهج السبيل[٩٤].

وقالت العرب في الدعوة إلى التسامح والصفح ورد السيئة بالحسنة: إذا عزَّ أخوك فَهُنْ، أي إذا وجدت من أخيك عنتًا فعليك أن تلين وتبادر بانتزاع ذلك العنت منه بالقول الحسن والسلوك الطيب. وقالوا أيضًا: لولا الوئام لهلك اللئام، ذلك لأن اللئام لا يأتون الجميل من الأمور على أنها أخلاقهم، وإنما يفعلونها مباهاة وتشبهًا بأهل الكرم، ولولا ذلك لهلكوا، وقيل: الوئام، يعني الموافقة ونظرك غيرك ممن يفعل الخير واقتداؤك به، أي لولا أن يجد اللئيم شكلا يتأسى به ويفعل فعله لهلك. ومن الأقوال المأثورة التي تدور على ألسنة العرب لولا الوئام لهلك الأنام، أي لولا نظر الناس بعضهم إلى بعض ممن يفعلون الخير واقتداء بعضهم ببعض لهلكوا. وقالوا كذلك:

الخَيْرُ يَبْقَى وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ والشَّرُّ أَخْبَثُ مَا أَوْعَيْتَ مَنْ زَادِ

[٩٤] الشيخ محمد عبده: نهج البلاغة، ج ٢، ص ١٩٥ - ١٩٦.

www.mtenback.com

أجملت الدعوة معاني مختلفة وكثيرة منها الدعوة الخاصة التي تكون للزيارة أو الضيافة والصلات العائلية والاجتماعية ومنها الدعوة العامة للأمور الجسيمة مثل الدعوة إلى النفع العام والقيام بالواجب الذي يتطلبه عمل جماعي مكثف ولا يمكن أن يقوم به إنسان وحده أو أفراد قليلون، وتنوعت أغراض الدعوات ومضامينها وأهدافها فمنها أغراض إنسانية واجتماعية يقوم بها الناس ويستجيبون للداعي أو الداعين لمشاركتهم فضل ما يدعون إليه أو إيمانهم بحاجتهم إلى استجابة صحيحة لدعوة كريمة يرون أن القيام بها جزءاً من الواجب الذي يحتمه عليهم حق اجتماعي أو عمل إنساني محدد، يسعى الإنسان أو المجتمع لتحقيقه والانتفاع به وقد شهدت العصور الخوالي أنواعاً من الدعوات الخيرة التي دعت الناس إلى الفضيلة بكل معانيها ودلالاتها، فاستجاب لها الناس وانضموا إلى ركب الداعين إليها والمؤمنين بجداوها وقيمتها النافعة فالدعوة إذا كانت أهدافها شاملة عامة وأغراضها كريمة شريفة لقيت الاستجابة العاجلة من الناس والانفعال الوجداني ممن يتصدى للواجب ويدعو للقيام به.

وقد كثرت في عصرنا هذا الدعوات التي من هذا النوع أي الدعوة الشاملة مثل الدعوة إلى إقامة الجمعيات الخيرية التي ترعى شؤون فئة أو فئات من الناس ويحتاجون إليها وإلى خدماتها وتلك تحتاج في قيامها إلى دعوة عامة للناس حتى تتحقق أغراضها وأهدافها كما تحتاج الاستجابة للدعوة إيمانًا بهذه الأهداف والأغراض وكذلك الدعوة إلى إقامة علاقات عامة نافعة وصلات محمودة مثل الدعوات الإنسانية التي تنادي بحقوق الإنسان وتدعو إلى رفع الظلم عنه ومعاملته معاملة حسنة تليق بالإنسان وكرامته وتضمن عدم الاعتداء على حقه أو ماله أو حرمته. وهي دعوة تدفع إلى صورة من صور القيم الخالدة في التراث العربي والإسلامي حيث الدعوة الأولى إلى قيمة الإنسان واحترام نفسه وماله وشخصه وهذه الدعوات جديدة في شكلها الظاهر وممارسة الداعين لها حتى وإن وجدت أصولها الأولى في الثقافات البشرية، لكن ما

www.mtenback.com

تظهر به هذه الدعوات اليوم هو شيء مختلف عما سبق في تاريخ الإنسانية كلها مثل الدعوات الدولية والإقليمية إلى المحافظة على البيئة والطبيعة وهي دعوة لم تعد دعوة أفراد أو أشخاص بل مطلب إنساني عام.

كما أن من الدعوات التي يستجيب لها الناس في هذا الوقت الحاضر دعوات كثيرة مختلفة لكنها دعوات مقبولة أكثرها ما يختص بشؤون المجتمع الإنساني ويرفع من شأن التعاون الأممي ويكون سياجًا اجتماعيًا يحمي قيم المجتمعات وفضائل السلوك البشري.

وقد تكون الدعوة إلى الردع عن الظلم وتأتي بشكل النصيحة فيصير الداعي ناصحاً يحث على سد طرق الشرِّ وضرورة فتح سبل الخير وإقفال الأبواب أمام الأحقاد والتخاصم وإتاحة الفرص للحب والتسامح والعفو كي يسود الوفاق وتشيع الألفة بين الناس.

تستمر أهمية الدعوة قائمة ووظيفتها محفوظة ما دامت البشرية بحاجة إلى العون وبحاجة إلى الاجتماع الإنساني الذي يجسد وظيفة الجماعة ويحرك مشاعرها نحو الفضائل والواجبات التي ينجذب إليها بطبعه ويميل إلى ممارستها بحسه ووجدانه.

ولأن أعباء الدنيا جسيمة ومتاعبها تنزل بالناس جماعة أو أفرادًا فإن الإنسان وحده أضعف من أن يقف طويلاً تجاه الشدائد الحادثة والنوازل الطارئة، لكن ما يخفف من حدتها ويقلل من آثارها هي الدعوة إلى التعاون حتى لا يكون الإنسان الذي تحل به الكارثة وحده فيها ولا يكون المجتمع الذي يتعرض للبلاء أيضًا منفردًا ببلائه عن عون إخوانه إذا دعوا إلى عونه ومساعدته.

وتكون الدعوة ناجحة حين يهب القادرون على مكافحة النوازل والكوارث فيستجيبون لها وينغمسون في أتون المشكلة ويساهمون في صدها أو تخفيف آثارها في المال أو في العمل.

www.mtenback.com

ولاشك أن سمة عصرنا الحاضر هي سمة الكوارث الجماعية والنوازل العظيمة التي تحدث في جزء من الأرض الواسعة فتكون في ساعات قلائل بين أيدي الناس وأعينهم كل يشاهدها وكل يتفاعل وجدانيًا معها حسبما يمليه عليه حسه ووعيه الإنساني أو صلته بالمشكلات من قريب أو بعيد فإذا دعا الداعي إلى مواجهة ما يحدث مما يعرض المجتمعات للخطر والناس للشقاء كانت الاستجابة بقدر الكارثة وكان التعاطف مع المظلوم لردع الظالم حتى يصبح النأس كلهم في محيط الدعوة الخيرة المستجابة يهبون لإغاثة بني جنسهم فيتعاونون ويحمون من يحتاج إلى الحماية ويرعون من يحتاج إلى الرعاية وقد ضربت الجمعيات الخيرية في هذا العصر المثل الحسن للتعاون والدعوة المفتوحة الدائمة مثل إغاثة المنكوبين والمكروبين وأشهر ما يذكر في هذا الصدد هي الدعوة المفتوحة للجمعية الخيرية الناجحة أطباء بلا حدود الذين تنقلهم أهداف الدعوة البشرية العامة إلى كل موطن يوجد فيه الحرب والجوع والمرض وهي جمعية تدعو دعوة عامة مفتوحة كل من يستطيع المساهمة فيها ونجدة من يحتاج إلى خدماتها. ومثلها جمعيات الهلال الأحمر والصليب الأحمر وغيرهما من ضروب الدعوات النافعة والجمعيات التي تحدد أعمالها وأغراضها حاجة المجتمع الإنساني لها.

ومن الدعوات الخالدة في التاريخ الأدبي العربي دعوة الصلح المشهورة التي دعا إليها الحارث بن عوف بن أبي حارثة وهرم بن سنان بن أبي حارثة، وبمساعدة الربيع ابن زياد، تلك الدعوة التي حقنت دماء عبس وذبيان بوضع حد لحرب داحس والغبراء التي كادت تأكل نارها خيرة رجال القبيلتين وقد ابتهج العرب لهذه الدعوة وخلدها شاعر العرب المشهور زهير بن أبي سلمى بقوله[٩٥]:

سَعَى سَاعِيَا غَيْظِ بنِ مُرَّةَ بَعْدَمَا ... تَبَزَّلَ مَا بَيْنَ العَشِيرَةِ بِالدَّمِ

فَأَقْسَمْتُ بِالبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ ... رِجَالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ

[٩٥] زهير بن أبي سلمى: شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص٤٠.

www.mtenback.com

يَمِيْنًا لَنِعْمَ السَّيِّدَانِ وُجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيْلٍ وَمُبْرَمِ

وقد تعرض الصلح الذي عقد بين القبيلتين إلى الانهيار لولا تضحية سعاة الخير ودعاته الذين وردت أسماؤهم أعلاه. وكان ذلك بعد مقتل هرم بن ضمضم على يد ورد بن حابس العبسي. إذ رفض حصين بن ضمضم، شقيق المغدور، الدخول في الصلح والاعتراف به. فأقسم ألا يغسل رأسه حتى يقتل ورد بن حابس قاتل أخيه، أو رجلاً من بني عبس، ثم من بنى غالب. ولم يُطْلِع على نيته هذه أحدًا. وأشار زهير بن أبي سلمى في قصيدته التى خلد بها هذا الصلح بقوله:

فَلا تَكْتُمُنّ اللهَ مَا فِي نُفُوسِكُم لِيَخْفَى وَمَهْمَا يُكْتَمِ اللهُ يَعْلَمِ

يُؤَخَّرْ فَيُوضَعْ فِي كِتَابٍ فَيُدَّخَرْ لِيَوْمِ الحِسَابِ أَوْ يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ

محذرًا القبيلتين أن يكون في نوايا أحد منهما مثل نية حصين بن ضمضم فيفسد الصلح ويشعل نار الفتنة والحرب ثانية، وعندها لاتبقي هذه النار ولاتذر وتنشر الخراب والدمار. وأكد زهير تحذيره بأبيات في ميميته، غدت حكمة يتداولها العرب على مر السنين وعلى مدى الأجيال:

وَمَا الحَرْبُ إلا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمُ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالحَدِيْثِ المرجَّمِ

مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيْمَةً وَتَضْرَ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضْرَمِ

فَتَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحَى بِثِفَالِهَا وَتَلْقَحْ كِشَافًا ثُمَّ تُنْتَجْ فَتُتْئِمِ

فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلُّهُم كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ فَتُفْطِمِ

فَتُغْلِلْ لَكُمْ مَا لا تُغِلُّ لأَهْلِهَا قُرًى بِالعِرَاقِ مِنْ قَفِيْرٍ وَدِرْهَمِ

لَعَمْرِي لَنِعْمَ الحَيُّ جَرَّ عَلَيْهِمُ بِمَا لا يُؤَاتِيْهِمْ حُصَيْنُ بْنُ ضَمْضَمِ

www.mtenback.com

أما الذي ضمن الصلح فهما الحارث بن عوف بن أبي حارثة، وهرم بن سنان ابن أبي حارثة، وقد أشاد بهما الشاعر زهير لتضحيتهما من أجل الحفاظ على الصلح وتلافي احتمال تجدد القتال بين القبيلتين فقال:

تَدَارَكْتُمَا عبسًا وَذُبْيَانَ بَعْدَمَا ... تَفَانَوا وَدَقُّوا بَيْنَهُم عِطْرَ مَنْشِمِ

وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ وَاسِعًا ... بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الأَمْرِ نَسْلَمِ

فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ ... بَعِيْدَيْنِ فِيْهَا مِنْ عُقُوْقٍ وَمَأْثَمِ

أما حكاية حصين بن ضمضم الذى قدح زناد الحرب وكاد يشعلها بين القبيلتين مرة أخرى لولا تدخل أهل الخير والصلاح، ودعاة الوئام والسلام، فتتلخص فيما يلي: أقبل ذات يوم رجل من بني عبس ثم أحد بني مخزوم حتى نزل بحصين بن ضمضم فقال: «من أنت أيها الرجل؟» فقال: «عبسي» قال ابن ضمضم: «من أي بني عبس؟» و لم يزل ينتسب حتى انتهى إلى غالب فقتله حصين. فبلغ ذلك الحارث بن عوف وهرم بن سنان فاشتد ذلك عليهما. وبلغ بني عبس، فركبوا نحو الحارث. فلما بلغ الحارث ركوب بني عبس وما قد اشتد عليهم من قتل صاحبهم، بعث إليهم بمئة من الإبل ومعها ابنه. وقال للرسول: «قل لهم: اللبن أحب إليكم أم أنفسكم؟» فأقبل الرسول حتى قال لهم ما قال» فقال لهم الربيع بن زياد: «إن أخاكم قد أرسل إليكم: الإبل أحب إليكم أم ابنه تقتلونه؟» فقالوا: «بل نأخذ الإبل، ونصالح قومنا ويتم الصلح» وهكذا ضحى الحارث بماله وولده من أجل أن يصون السلام بين القبيلتين ويحقن دماء العرب، ويضع حدًّا لكارثة كانت ستدمر الجميع. وفي ذلك يقول زهير بن أبي سلمى[٩٦]:

---

[٩٦] أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ثعلب: شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، ص ٣-٣٢.

www.mtenback.com

عَظِيمَيْنِ فِي عُلْيَـــا مَعَـــدٍّ هُدِيْتُمَـــا ... وَمَنْ يَسْتَبِحْ كَنْزًا مِنَ المَجْـــدِ يَعْظُـــمِ
فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيْهِمُ مِـــنْ تِلاَدِكُـــمْ ... مَغَـــانِمُ شَـــتَّى مِـــنْ إِفَـــالٍ مُزَنَّـــمِ
تُعَفَّى الكُلُـــومُ بِـــالمِئِينَ فَـــأَصْبَحَتْ ... يُنَجِّمُهَا مَـــنْ لَيْـــسَ فِيْهَـــا بِمُجْـــرِمِ
يُنَجِّمُهَـــا قَـــوْمٌ لِقَـــوْمٍ غَرَامَـــةً ... وَلَمْ يُهَرِيْقُوا بَيْنَهُـــمِ مِـــلءَ مِحْجَـــمِ

هنالك تقاليد تتبع في الدعوة إلى الصلح توارثها الأبناء عن الآبـــاء والأجـــداد، ومازال معظمها متبعًا وساريًا في كثير من مجتمعاتنا العربية والإســـلامية خصوصًـــا في الأرياف وعند البدو.

عندما ينشب نزاع بين عشيرتين في قرية أو قبيلتين في منطقة، أو بـــين قبـــائل وعشائر وقرى متباعدة أو متجاورة، كان يتدخل الحكماء والعقلاء ووجوه العشـــائر والقبائل وزعماؤها لحصر هذا النزاع أولاً وتطويقه والحيلولـــة دون اتســـاع نطاقـــه وتعاظم نتائجه. ويكون الوسطاء عادةً مـــن وجوه القوم من غير المتنازعين، أو مـــن ذوي السمعة الحسنة والشهرة بحصافة الرأي ونزاهة النفس، أو مـــن ذوي النفـــوذ في مواقعهم أو من ذوي المكانة الاجتماعية العالية كرجـــال الديـــن والعلمـــاء أو ذوي السلطان، شريطة ألا يكونوا من الفريقين المتنازعين كما أسلفنا.

أما إذا تطورت الأمور بصورة أسرع من وسطاء الخير، وقتل فرد أو أكثر مـــن أحد الطرفين، فإن الدعوة إلى الصلح تكون هي الأقوى والناس مع الدعاة إلى الصلـــح ومع الدعاة إلى الوفاق، وقلّما تجد أحدًا لا يساعد على درء الفتنة ومحاولة إخمادها بكل الوسائل وهي عادة عربية منذ الجاهلية حتى اليوم.

لا حظنا عبر مسار البحث ما للدعوة إلى الطعام من أهمية في التراث العربي وفي حاضر الأمة ومستقبلها. ففي الزمن الذي لم تكن فيه مطاعم عامة، ولم يكن فيه شـــيء اسمه إطعام مأجور، أو «تقديم طعام لقاء ثمن» إذ كان ذلك من كبريات المعائب ومن أسوأ مواضع العار التي تسبب لصاحبها أو فاعلها فضيحة لا يستطيع غسلها أبد الدهر،

www.mtenback.com

بل ربما يلتصق عار تقديم الطعام لقاء ثمن أو حتى مجرد الامتناع عن تقديم الطعام به وبأولاده وذريته ومن بعده أجيالاً عديدة.

في ذلك الوقت كان لا بد من ظاهرة الكرم أن تَسود، وللدعوات إلى الطعام أن تشيع وكان للطعام آداب وسلوك ينبغي مراعاتها. ويدل الالتزام بها على رقي وتقدم وحضارة ويدل الجهل بها على تخلف وحقارة. فكان للضيافة أصول يرعاها الداعي والمدعو، آداب يتمتع بها الجانبان أيضًا. إضافة إلى الوسائل التي كانت متّبعة لجلب الأضياف وجذبهم.

لقد أسهمت هذه القيمة في تعزيز روابط الأخوة والمحبة والتعاون والإخاء بين الناس؛ وساعدت على حفظ كرامة الكثير من الفقراء. وثَّمت نزعة العطاء في النفس حتى جرت بعض الأمثال على ألسنة الناس تعبيرًا عن روح الشهامة والكرم هذه مثل اللقم تصد النقم، أي أنك إذا أطعمت أحدًا حُبًّا لله ولوجهه فإن ذلك يرد عنك كثيرًا من الأذى وكانت تروى حكايات شعبية على أنها حوادث وقعت، رغم احتمال كونها من الخيال والإبداع الأدبي الشعبي، تؤكد مثلَ هذا المثل وصحته. ومن الأمثال المعبرة: «مَنْ مالحك خاواك»، أي من أكل طعامًا من بيت يصبح واحدًا منهم لا يخونه ولا يخون أهله، ومن الأمثال: «اعمل خيراً وارم بالبحر»، أي لا تنتظر أجرًا على خيرٍ أو معروفٍ تعمله «المليحة لا تحتاج إلى مشورة»، أي أن عمل الخير لا يحتاج إلى استشارة، بل ينبغي أن يبادر المرء إليه دون تردد.

نشأت، إذن، خلة الكرم في ظروف معينة وبيئات تستلزم ظهوره خصوصًا في مجتمع عربي إسلامي، وترعرعت هذه السمة الطيبة في ظل مجتمع العطاء ، وفي ظل تعاليم الإسلام التي أكدت على ضرورة استمرار صفات الخير بين الناس كالتوادد والتعاطف التي تتمثل بأبهى صورها في تقديم العون إلى المحتاج وصلة الرحم لدرجة أن القرآن الكريم حث على الإنفاق في أكثر من موضع.

www.mtenback.com

الإنفاق مطلوب، إذ لايجوز لإنسان أن يحبس مالاً مَنَّ الله عليه به من خيرات الدنيا، فلا بد أن يتمتع بما أعطاه الله، وأن يمتّع سواه. إذن الإنفاق أمر إلهي ولكن ليس الإنفاق العشوائي بلا هدف. بل الإنفاق للتفريج عن النفس وعن ضائقة المحتاجين، وقد وعد الله ألا ينقص المال الذي ينفق منه في وجوه الخير والتفريج عن الآخرين.

لقد حدثني شخص عما حدث له بنفسه قال: قبضت مبلغًا قبل وقفة العيد بيومين. فقلت لنفسي، لقد فرّح الله أولادى بهذا المبلغ، فلماذا لا أفرّح أطفالاً آخرين؟! قسمت المبلغ مناصفةً، وبعثت بنصفه لأبناء شهيد أعرفه وأعرف أسرته أنها كانت بحاجة. ولدى عودتي كنت أشعر أني أمشي فوق السحاب من فرط السعادة التي كانت تغمرني. وما إن وصلت البيت، وقبل أن أبدّل ثيابي. قرع جرس الباب، فإذا برجلٍ غريب لا أعرفه. سلّمت عليه ورحّبت به ودعوته للدخول، فدخل. ولدى جلوسه قال: لا أريد إطالة المقام فالوقت صيام، ولكن لو تكرمت أريد أن ترجم لي هذه الأوراق، وأريدها ناجزة بعد العيد مباشرةً، وهذا مبلغ على الحساب، وعندما أعود نتحاسب. ونهض وخرج دون أن يعطيني فرصة لمناقشته. وبعد خروجه فتحت المغلف الذى يحوي المال، فإذا فيه مبلغ يساوي تمامًا المبلغ الذي قدمته لأولاد الشهيد، فوقف شعر رأسي من خشية الله، وركعت فوراً على ركبتي أصلي لربي وأشكره وقد ترقرقت عيناي بالدمع. الله أكبر لم يترك ربي الأمر حتى اليوم التالي بل عوّضني في اليوم ذاته، ذلك لأن العطاء كان خالصًا لوجه الله. إنه غنيٌ حميد.

وعندما تطورت الحياة، وانتشرت مفاهيم الغرب المادية القائمة على المصلحة فقط، والتي تتلخص في أن «أولادك أولى بما تطعمه للضيوف كرمًا وشهامةً» أخذت الدعوة إلى الكرم والعطاء ونجدة الملهوف وتلبية دعوة المحتاج تختفي رويدًا رويدا، رغم بقاء بعضها في القرى والأرياف، وفي أوساط البدو. لقد اختفت مثل هذه العادات

www.mtenback.com

الأصيلة في المدن حيث أقيمت المطاعم التى تقدم الطعام لقاء ثمن، وأنشئت الفنادق التي تؤوي الناس لقاء ثمن، بوصفها كلها مشروعات تجارية بحتة لاعلاقة لها بالكرم ولا بإكرام الضيف . فصار أهل الريف يعيرون أهل المدينة بالبخل، ويسخرون من دعواتهم لمعارفهم من الريف إن التقوهم في المدينة، وأخذوا يتقولون عليهم الأقاويل ويبتكرون صيغًا فكاهية مثل: «أتتغدى عندنا في البيت أم في المطعم أفضل؟»، أتبيت عندنا أم في الفندق أكثر راحة لك؟، «أتتعشى أم تنام خفيفًا أحسن لصحتك؟»، «دعنا نراك» وهي عبارة تحمل معنى الوداع، أي كأنه يقول: «وداعًا» بدلا من أن يقول «تفَضّل».

بالطبع لابد أن يختلف الحال في المدينة عنه في الأرياف، وذلك ليس بجديد منذ أقدم الأزمان يوجد هذا الفارق في طبيعة الحياة الاجتماعية بين المدينة والريف. فالمدينة تجمع مَنْ هبَّ ودَبَّ، ويلتقي فيها أشتات الناس من كل حدب وصوب. فلا يكاد يعرف الجار جاره. ولا تكاد تتسع البيوت خصوصًا تلك التي أنشئت على الطراز الغربي الإفرنجي لسكانها، فكيف يستضيفون فيها الغرباء! أو حتى الضيوف من الأقرباء، لأن في ذلك حدًّا من حرية الحركة في البيت. فساعدت هذه العوامل على إضعاف الروابط بين الناس، ونزع المحبة والألفة من قلوبهم، وإخماد ذلك الشوق الذى يعتلج في صدورهم تجاه بعضهم بعضًا إن هم ابتعدوا بضعة أيام مثلاً. صار المرء يشعر كأنه وحيد في هذه الدنيا، معزول عن أهله وبيئته، يكافح كجرادة تناوشها العصافير.

لذلك أصبحت القيم العربية والأخلاق في خطر، ولا بد من استعادة تراثنا العربي وعاداتنا المحببة والتمسك بها حتى ننقذ هذه القيم من الانهيار والزوال، خصوصا بعد انتشار المفاهيم الإفرنجية الغربية ذات الأساس المادي والهدف المصلحي، والخالية من أية دلالات إنسانية خالصة، بلا غاية خاصة أو منفعة فردية أو سياسية أو غير ذلك، والتي لا تقيم وزنًا للمشاعر والقيم الإنسانية.

www.mtenback.com

مازالت بقية من القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية ماثلة في الأرياف وفي أوساط البدو، ومن أجل الحفاظ على ماتبقى من هذه القيم، ومن أجل إنعاش ما هو في طريق الذبول والزوال، وإحياء ما اندثر منها كان لابد من التذكير بها. والدعوات التي تعرض في هذا السياق هي دعوة الخير كل الخير، تعويد الناس الاتصال المباشر واستعمال الصلات الاجتماعية الصحيحة والتركيز على ما اندثر منها، ومحاولة لاستعادة جزء من الثقافة العربية الخالدة وتذكيراً بشيء من الموروث العربي الأصيل.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الفهارس

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ... الآية﴾	٢٣	٧
	﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ... الآية﴾	١٨٦	٧
آل عمران	﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ....الآية﴾	١٠٤	٤٨
النساء	﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ... الآية﴾	١٤٠	٣٢
المائدة	﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا... الآية﴾	٢	٤٩
الأنعام	﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا... الآية﴾	٦٨	٣٢
الأعراف	﴿الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ... الآية﴾	١٩٤	٧
يونس	﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ... الآية﴾	٢٥	٨
هود	﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ... الآية﴾	٧٠-٧١	٣٧
لقمان	﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ...الآية﴾	١٧	٤٨

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«اصنعوا لآل جعفر طعامًا»	١١
«أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم...»	٥٣
«أعلنوا النكاح في المساجد...»	١٥
«أولم ولو بشاة»	١٤
«إذا دُعي أحدكم إلى وليمةٍ فليأتها...»	١٥-١٦
«إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه...»	٢٠-٢١
«إذا أتى أحدكم المجلس فليسلم...»	٣١
«إن الصوم وجاء»	٢٤
«حق المسلم على المسلم خمس....»	١٦
«الدعوة أول يوم حق والثاني..»	١٩
«سمّوا إذا أكلتم واحمدوا إذا فرغتم»	٢١
«فإن كان صائماً فليصل أي يدعو»	١٧
«كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً...»	٨
«للمسلم على المسلم ست...»	١٦
«لو دُعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت»	١٦
«المجالس بالأمانة إلا ثلاثة...»	٣١
«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر...»	٣٩
«من قام من مجلسه...»	٣١

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـــ ء ـــ		
أوجب	الأنواءِ	الحسن بن وهب	٤	٤٦
		ـــ ب ـــ		
لا تسألنْ	تحجبُ	ـــ		٥٢
ألا حيِّ	بقريبِ	نصيب	٣	٤٢
السيف	اللعبِ	أبو تمام	٤	٥٥
تسعون	العنبِ	أبو تمام	١	٥٦
		ـــ د ـــ		
لا أبغض	قعدا	حميد الأرقط	٢	٢٣
غضارة	فقدُها	ـــ	١	٤٦
أقول	يجلدُها	حاتم الطائي	٣	٤٣
وللموت	عمدِ	أعرابي	١	٢٩
الخير	زادِ	ـــ	١	٥٧
		ـــ ر ـــ		
نحن	ينتقرِ	طرفة بن العبد	١	١٢
أوقد	صرُّ	حاتم الطائي	٢	٤٢
أماويَّ	والذكرُ	حاتم الطائي	٢	٥٤
امنن	ندخرُ	ـــ	٧	٥٣
أصلحك	كثروا	ـــ	٢	٤٩
ما بين	أظفورِ	حميد الأرقط	١	٢٢
أزور	الصدورِ	ـــ	٢	٤٦

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ س ـ		
الطلولُ	الأوانسْ	إسحاق الموصلي	٢	٣٥
مطية	الفرسا	ـ	١	٣٧
وكنت	جليسُ	ـ	٢	٣١
تقول	المتقاعسُ	أعرابي من بني سعد	٢	٤٠
		ـ ع ـ		
وفي	ممزّعا	ـ	١	٤٤
		ـ ف ـ		
ببابك	أطوفُ	ـ	٩	٥٠
لا ينبغي	لطيف	ـ	١	٣٢
		ـ ق ـ ٤٦		
سر	بالتلاقي	ـ	٢	٤٦
		ـ ك ـ		
إذا المرء	المسالكُ	شمس الدين البديوي	٥	٣٦
		ـ ل ـ		
تجهز	الأنامل	حميد الأرقط	٣	٢٢
وما المرء	فاجعل	ـ	١	٣٠
		ـ م ـ		
أبا	شتّامُها	ـ	٤	٤١
يدعون	الأدهمِ	عنترة بن شداد	١	٧

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
سعى	بالدمِ	زهير بن أبي سلمى	٣	٦٠
فلا تكتمن	يعلمِ	زهير بن أبي سلمى	٢	٦١
وما الحرب	المرجمِ	زهير بن أبي سلمى	٦	٦١
تداركتما	منشمِ	زهير بن أبي سلمى	٣	٦٢
عظيمين	يعظمِ	زهير بن أبي سلمى	٤	٦٣
ـــ ن ـــ				
أسامي	ببيانِ	صدر الدين بن العز	٥	٩
صل	إلفينِ	ابن عبد ربه	٢	–
ـــ هـ ـــ				
لا تسألن	إليهِ	أبو العتاهية	٣	٣٤

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأمثال

المثـــل	الصفحة
«اعملِ خيراً وارمِ بالبحر»	٦٤
«إذا سأل المعزّب ضيفه معابا»	٣٩
«البطنة تُذهب الفطنة»	٢٣
«طفيلي مقترح»	٣٥
«لولا الوئام لهلك الأنام»	٥٧
«المليحة لا تحتاج إلى مشورة»	٦٤
«من مالحك خاواك»	٦٤
«وحمى ولا حبل»	٢٥
«يبعث الكلاب من مرابضها»	٢٥

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الألوسي زاده، السيد محمود شكري أفندي:

بلوغ الأرب في أحوال العرب، بغداد، مطبعة دار السلام، ١٣١٤هـ.

الأبشيهي، محمود بن أحمد، شهاب الدين:

المستطرف في كل فن مستظرف، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

ابن أبي الدنيا، أبو بكر بن عبد الله، القرشي البغدادي:

كتاب مكارم الأخلاق، تحقيق: جيمز. أ. بلمي، سلسلة النشرات الإسلامية، رقم ٢٥، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد، الجزري:

جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق وتخريج: عبد القادر الأرناؤوط، دمشق، مكتبة الحلواني ومكتبة دار البيان، ١٣٩٨هـ/١٩٦٩م.

البغا، د. مصطفى ديب:

مختصر صحيح البخاري (المسمى التجريد الصحيح، والمشهور بمختصر الزبيدي)، دمشق، دار اليمامة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤.

البيانوني، أحمد عز الدين:

العمل الصالح، حلب، مكتبة الهدى، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

ثعلب، أحمد بن يحيى الشيباني، أبو العباس:

شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

www.mtenback.com

الجاحظ، عمرو بن بحر، أبو عثمان:

المحاسن والأضداد، تقديم: فوزي عطوي، بيروت، الشركة اللبنانية للكتاب، ١٩٦٩م.

جاد المولى، محمد أحمد، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي البجاوي:

قصص العرب، قُمْ، منشورات الرضا، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

حاتم الطائي، ابن عبد الله:

ديوانه شعره وأخباره، صنعة يحيى بن مدرك الطائي، رواية هشام بن محمد الكلبي، دراسة وتحقيق: عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، (د.ت).

دراز، محمد عبد الله:

دستور الأخلاق في القرآن، عرّبه وحققه وعلق عليه: د. عبد الصبور شاهين، وراجعه: د. محمد بدوي، بيروت، مؤسسة الرسالة، دار البحوث العلمية، ط٣، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

السمان، مطيع:

وطن وعسكر، دمشق، بيان للنشر والتوزيع، ١٩٩٥م.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين:

تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر، مطبعة السعادة.

ابن طولون، محمد بن علي الدمشقي، شمس الدين:

فص الخواتم فيما قيل في الولائم، تحقيق: نزار أباظة، دمشق، دار الفكر، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

www.mtenback.com

ابن عبد ربه الأندلسي، أبو عمر:

العقد الفريد، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

العبد، د. عبد اللطيف محمد:

الأخلاق في الإسلام، القاهرة، مكتبة العلوم، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

عبده، محمد:

نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب، دمشق، مطبعة كرم ومكتبتها، د.ت.

عمارة، محمد:

الإسلام وحقوق الإنسان، ضرورات، لا حقوق، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٨٩، الكويت، المجلس الوطني الأعلى للثقافة والفنون والآداب، شعبان، ١٤٠٥هـ/مايو (أيار) ١٩٨٥م.

القرطبي، يوسف بن عبد الله النمري، أبو عمر:

بهجة المجالس، وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، مراجعة: د. عبد القادر القط، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت.

المبرد، محمد بن يزيد، أبو العباس:

الكامل، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، د..

ابن منظور، محمد بن مكرم:

لسان العرب، بيروت، دار صادر، د.ت.

نكه مي، عبد الغني:

حدائق المتقين فيما ينفع المسلمين، بيروت - حلب، دار الكتاب النفيس، ط٢، ١٤٠٨هـ.

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com